بيان القرآن

لرؤية الرحيم الرحمن

جل جلاله وعز سلطانه

بقلم دكتور/ محمد صلاح أحمد شداد

مدرس التفسير وعلوم القرآن – بالكلية

جامعة الأزهر – كلية أصول الدين – القاهرة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه وذريته والتابعين إلى يوم الدين .... وبعد ،

فإن الله تعالى أنزل القرآن الكريم ليكون هادياً للناس فى أمور دينهم ودنياهم وأعظم أمور الدين معرفة الله سبحانه وأسمائه وصفاته وما يجب له وما يجوز وما يستحيل.

والاختلاف في أصل العقائد يوجب الاختلاف في الدين أما الاختلاف في فرعياتها فيؤسس المذاهب والفرق وكلها تسمى بالإسلام ويسمى أتباعها بالمسلمين ما لم يحصل إنكار لأمر معلوم بالضرورة أنه من الدين ومسألة رؤية الباري سبحانه وتعالى من المسائل التي دار النقاش حولها كثيراً.

وقد أحببت أن أتناول هذه المسألة بالتفصيل فجاء هذا البحث في تمهيد ومبحثين وخاتمة.

فأما التمهيد فتناولت فيه طريق معرفة الله سبحانه وتعالى.

وأما المبحث الأول فتناولت فيه رؤية الله في الآخرة.

وأما المبحث الثاني فتناولت فيه رؤية الله في الدنيا.

وأما الخاتمة فتناولت أهم النتائج التي توصلت إليها.

وطريقتي في البحث هى تناول الآيات التى تجاذبتها أوجه الدلالة عارضاً وجهة نظر المثبتين والنافين بحياد تام ثم أؤيد ما أراه راجحاً من وجهة نظري وأنقض وجهة النظر الأخرى بالأدلة والبراهين لا بالهوى والميل النفسي.

فإن أكن قد هديت فمن الله وحده ، وإن تكن الأخرى فمن نفسي وأسأل الله أن يهديني والمسلمين سواء السبيل.

تمهيد

طريق معرفة الله تعالى :

من ينظر في القرآن يجد أن معرفة الله تعالى عن طريقين:

الأول: معرفة الله عن طريق أسمائه وصفاته وما يجب له من صفات كمال وجلال وعلم وقدرة وأحدية وأولية إلى آخر ما أخبرنا به.

الثانى : آثارقدرته سبحانه وتعالى في كونه ومخلوقاته ومن بينها الإنسان الذي كرمه وحباه وفضله.

فأما الطريق الأول : ففي مثل قوله تعالى:﴿ **هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾(١)

وقد ورد أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: ((انسب لنا ربك فأنزل الله عز وجل ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾(٢) /الاخلاص/ لأنه ليس شي يولد إلا سيموت وليس شئ يموت إلا سيورث وإن الله لا يموت ولا يورث ، ولا شبيه ولا عدل وليس كمثله شيء.(٣)

وقال سبحانه : ﴿**اللَّهُ لَا إِلَـهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾(٤)

---

(١) سورة الحشر من الآية ٢٢ : ٢٤.

(٢) سورة الاخلاص.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ٢ / ٥٨٩. وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) البقرة : ٢٥٥.

وقال سبحانه :﴿**سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ*لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ*هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ*هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ*لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ*يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾(١) إلى غير ذلك من الآيات التي يطول ذكرها وما ذكر نموذج يدل على ما لم يذكر.

وأما الطريق الثاني :

وهو معرفة الله تعالى عن طريق آثار قدرته في كونه ومخلوقاته فآياتها كثيرة جداً منها قوله تعالى:﴿ **أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا * وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا * وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا * وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا * وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا * لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا * وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا**﴾(٢)

وقال سبحانه ﴿**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾(٣)

ويبين سبحانه أن الموجودات على ماهى عليه من صنعه وخلقه ودلائل وجوده وحكمته وقدرته سبحانه فيقول : ﴿**يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ * وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن**

---

(١) سورة الحديد من الآية ١ : ٦.

(٢) سورة النبأ من الآية ٦ : ١٦.

(٣) سورة الإنسان من الآية ١ : ٢.

فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ * وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ * وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(١).

والآيات فى هذا المعنى كثيرة جداً وما ذكر نموذج يدل على ما لم يذكر.

فعلم مما سبق طريق معرفة الله سبحانه وثبت أن الرؤية ليست طريقا إلى معرفة الله سبحانه وهى ليست طريقاً لسببين:-

أولهما :لتحقق قيمة الإيمان بالغيب فأول صفات المؤمنين المتقين هى : ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (٢)وهذا المعنى – ألإيمان بالغيب – هو سر تكريم الإنسان وسر الجزاء فىالآخرة ودليل ذلك أن الملائكة المطهرين الذين لا يعصون ليست لهم جنة ولا نار لأنهم فى مقام مشاهدة تصاريف القدر بالمباشرة ويرون بأعينهم قدرة الله المباشرة بدون أسباب أو معالجة.

ثانيهما : أن الإيمان بعد رؤية الله ضرورى لا يسع الإنسان غيره فتبطل صفة الاختيار والتكليف وقد ذكر الله ذلك مع رؤية بعض الآيات الكونية التى لا يسع الإنسان معها التكذيب فكيف برؤية الله تعالى قال تعالى:﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾(٣)

(١) سورة الروم من الآية ١٩ : ٢٨.
(٢) سورة البقرة آية ٣.
(٣) سورة الشعراء آية ٤.

إذن ما موقع الرؤيةإذا لم تكن طريقاً لمعرفة الله تعالى ؟

والجواب انها جزاء وثواب ونعيم والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (١) وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ وقد ورد فى تفسير الزيادة أنها رؤية الله.

وعاقب الذين يكذبون بيوم الدين بالحجب عنه فعلم أنه ينعم المصدقين بيوم الدين برؤيته سبحانه فقال سبحانه:﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾(٢)

وبذلك نفهم أن رؤية الله ليست صفة ملازمة للذات تتوقف معرفته تعالى عليها بدليل أن الله عاقب قوماً علقوا إيمانهم على رؤيته تعالى فقال عن قوم موسى:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (٣).

ولولا إخبار الله تعالى عن وقوع الرؤية يوم القيام ما كان للاختلاف حول الرؤية حيزاً كبيراً فى مجال العلوم الشرعية.

ولايفهم من كلامى هذا تهوين أمر الرؤية كيف وهى أفضل نعيم يؤتاه أهل الجنة وأكبر ثواب يحصلون عليه يتصاغر معه كل ثواب ويتضاءل معه أى نعيم.

وإنما أريد ان أخفف من حدة خلاف المسلمين مع بعضهم وان أضع المسائل الخلافية فى حجمها الحقيق بها فلا تكفير ولا تفسيق إلا بإنكار المعلوم من الدين بالضرورة غير محتمل لتأويل أو صرف عن ظاهره.

(١) سورة القيامة من الآية ٢٢:٢٣.
(٢) سورة المطففين آية ١٥.
(٣) سورة البقرة آية ٥٥.

المبحث الأول

الرؤية فى الآخرة

رؤية الله سبحانه وتعالى لها أكثر من جانب تبحث منه :-

الأول : رؤيته تعالى فى الآخرة **والثانى** / رؤيته سبحانه فى الدنيا.

ورؤيته فى الدنيا تتناول رؤيته سبحانه يقظة ورؤيته سبحانه مناماً.

وسوف أبدأ بالآيات المعلقة برؤيته تعالى بالآخرة لأهمية ذلك من حيث تعلقه بالنعيم وكثرة اختلاف فرق المسلمين حولها وكثرة الآيات المتعلقة بها فنقول وبالله التوفيق.

تتفق المعتزلة والشيعة على نفي رؤية الله تعالى ويقولون باستحالتها بناءً على استلزامها المحال وهو كونه تعالى في جهة وحيز معين لأن هذا يستلزم ذاك عندهم بخلاف أهل السنة الذين يقولون بجواز الرؤية ووقوعها لله تعالى بدون كيف ولا انحصار والمناقشة حول تفسير الآيات توضح وجهة نظر كلا الفريقين وسوف يكون تركيزى في حكاية أقوال النافين للرؤية على كتب المعتزلة وذلك لدقة استدلالهم وعمقه ولأن من نفى الرؤية من غيرهم تابع لهم وناقل لاستدلالهم فإلى التعرف على وجهة نظرهم يقول القاضى عبد الجبار[١] ((فصل فى نفي الرؤية)).

ومما يجب نفيه عن الله تعالى الرؤية وهذه مسألة خلاف بين الناس وفى الحقيقة الخلاف فى هذه المسألة إنما يتحقق بيننا وبين هؤلاء الأشعرية الذين لا يكيفون الرؤية[٢]. ويحكى القاضى أقوال الناس ويسمى المعتزلة بأهل التوحيد [٣] ويسمى أهل السنة بالحشو[٤]

---

(١) شرح الأصول الخمسة ص ٢٣٢ط. وهبه والقاضى هو أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار أحمد بن خليل إمام المعتزلة وشيخهم طبقات المفسرين للسيوطى ص ٥٩.

(٢) والأشعرية لا يكيفيون الرؤية- فى نظر القاضى- لأنهم يقولون بالرؤية لا فى جهة وبدون تحيز.

(٣) اشتهر المعتزلة بأنهم أهل التوحيد وذلك لنفى زيادة الصفات على الذات.

(٤) مصطلح الحشوية ظهر عندما عرض جماعة من الرواة بضاعتهم العلمية على الحسن البصرى فقال ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة أى جانبها فسموا حشوية انظر تبين كذب المفترى فيما نسب للأشعرى لابن عساكر ص ١٠ ،١١ ط. دار الفكر.

فيقول : اختلف الناس فى ذلك فأما أهل العدل بأسرهم والزيدية والخوارج وأكثر المرجئة[١] فإنهم يقولون : لا يجوز أن يرى الله بالبصر ولا يُدرك به على وجه وقالت طائفة من الحشو وأصحاب الحديث ومن ينصر مقالتهم : إنه جل وعز يرى بالأبصار[٢].

ويمكن جمع الآيات التى اختلفت وجهات النظر حولها فيما يلى :

١- البقرة آية ٥٥: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾

٢- النساء آية ١٥٣: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾

٣- الانعام آية ١٠٣ : ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾

٤- الأعراف آية ١٤٣ : وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾

٥- يونس آية ٢٦ : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُولَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾

٦- الفرقان آية ٢١ : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾

٧- القيامة الآية ٢٢ ، ٢٣ : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾

٨- المطففين آية ١٥٥ : ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾

---

(١) الزيدية هم : اتباع زيد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب وهم أعدل فرق الشيعة والخوارج هم الذين خرجوا على الإمام على رضى الله عنه حين جرى التحكم.
والمرجئة : الأرجاء بمعنى التأخر وسموا بذلك لأنهم كانوا يؤخرون حكم مرتكب الكبيرة إلى الآخرة – انظر الملل والنحل ج ١ ص ١٣٩ والفرق ص ١٥١.

(٢) المغنى فى ابواب العدل والتوحيد ج ٤ ص ١٣٩.

هذه الآيات دار النقاش بين أهل السنة والمعتزلة حولها كلا الفريقين يستدل بها على قوله ويوجهها نحو معتقده ونحن إن شاء الله تعالى نفرد كل آية من الآيات بالبحث حاكين قول كلا الفريقين معقبين بما نراه أهلا للقبول منهما مع بيان ما إذا كانت الآية تستحق أن تكون فاصلة لهذا النزاع ام لا فإن بعض تلك الآيات لم تسق أصلا للحديث عن الرؤية وإنما لغرض آخر كحكاية جنايات وقبائح اليهود فإن سبب مورد الآية له دخل فى فهم مفرداتها.

**** الآية الأولى:**

قوله تعالى فى سورة البقرة آية ٥٥: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾

يقول فى تفسيرها القاضى عبد الجبار[١] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ يدل على أن الرؤية على الله تعالى لا تجوز هكذا يرى القاضى أن الآية اصرح من أن تفسر وأبين من أن يلتمس لها وجه دلالة على قوله فيرسل القول مسلما لا يحتمل نقاشا.

ولكنا نجد الأمر يختلف عند الزمخشرى الذى فسر الآية واستدل على نفى الرؤية من هذه الآية بأدلة عقلية فيقول[٢] فى تفسيره للآية ((وفى هذا الكلام دليل على أن موسى عليه الصلاة والسلام رادهم القول وعرفهم أن رؤية ما لا يجوز عليه أن يكون فى جهة محال وان من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة الأجسام أو الأعراض فرادوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجوا فكانوا فى الكفر كعبده العجل فسلط الله عليهم الصاعقة كما سلط على أولئك القتل[٣] تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنه.

(١) تنزيه القرآن عن المطاعن ص ٢٤.

(٢) الكشاف ج١ ص ٧.

(٣) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

**** وجار الله – الزمخشرى – حمّل الآية فوق ما تدل عليه ألفاظها يظهر ذلك فى الأمور التالية :-**

١- ان الآية معناها عند الزمخشرى أن موسى عليه السلام راجع بنى إسرائيل كثيرا فى طلبهم للرؤية وعرفهم أن رؤية ما لا يجوز عليه أن يكون فى جهة محال ونحن بدورنا نفهم من كلام الزمخشرى أن موسى عليه السلام كان موقنا بان الله تعالى تستحيل رؤيته وهذا يوقفنا مع المعتزلة موقف المقابلة عند تناولنا لسؤال موسى لنفسه عليه السلام الرؤية.

٢- ومعنى كلام الزمخشرى كذلك أن الرؤية تستلزم أن يكون الله تعالى فى جهة وذلك محال لأن الجهة خاصة بالأجسام والأعراض.

٣- ثالث مانفهمه من كلام جار الله ان أخذ الله لهم بالصاعقة دليل على ان الرؤية محالة والله صعقهم لأنهم سألوا المحال ولو سألوا ممكنا لما أخذهم الله بالصاعقة.

**** مناقشة وجه استدلال الزمخشرى من الآية :-**

ونحن نناقش الزمخشرى فى الأحكام التى أخذها من الآية الكريمة وأول هذه الأحكام أن موسى عليه السلام راجع بني إسرائيل القول وذلك يعطى أنهم طلبوا الرؤية المرة بعد المرة ولكنا نلحظ ان الآية ليس فيها ما يدل على تكرار الطلب منهم ولو كان لسجله القرآن فقد سجل القرآن مراجعة أقل شأنا من ذلك فسجل مراجعتهم لسيدنا موسى فى البقرة[١] وليس فى الآية كذلك ما يشير إلى ذلك التكرار بل الإشارة فى الآية إلى عدم التكرار حيث عبر القرآن عن قولهم بفعل الماضى كما هو مقرر فى اللغة العربية يدل على الثبوت والتحقق وأما المضارع فهو الذى يدل على التجدد والاستمرار[٢].

(١) سورة البقرة الآيات من ٦٧ : ٧١.

(٢) الإيضاح فى علل النحو لأبى القاسم الزجاج – تحقيق مازن المبارك ط. دار النفائس بيروت لبنان ص – ٨٦ – ٨٨ وشرح المفصل لإبن يعيش ج ٧ ص ٤ وص ٦ ط. مكتبة المتنبى وشذور الذهب ص ٨ ط . عبد الحميد احمد حنفى.

وايضا فإن مراجعة موسى علية السلام لقومه – على قول الزمخشرى – يعطى العلم اليقينى لموسى بإستحالة الرؤية وإذا كان ذلك كذلك فكيف سأل الرؤية لنفسه كما جاء فى سورة الاعراف.

** **وثانى الأمور :** التى قال بها الزمخشرى فى تفسيره للآية أن الرؤية تستلزم أن يكون الله تعالى فى جهة وذلك محال لان الجهة خاصة بالأجسام والاعراض.

** وهذا كلام فيه مغالطة كبيرة حيث إنه قاس قياسا فاسدا لانه قياس مع الفارق حيث قاس الغائب على الشاهد ومن قال إن القوانين التى تتحكم فى رؤية الحوادث تنطبق على رؤية القديم سبحانه؟ فكما أنه سبحانه علم بلا كيف ولا انحصار فكذلك يرى بلاكيف ولا انحصار وتكون نقطة النقاش هى هل هذه العيون الحادثة التى ترى بقوانين المادة هى التى ترى الله تعالى وإذا تطرق الكلام إلى هذه النقطة تعلق الأمر بقدرة الله تعالى على خلق الأبصار التى تصلح لرؤية الأعلى سبحانه وخلق مثل هذه الأبصار من الممكنات التى تتعلق بها قدرة الله سبحانه.

** **وثالث الأمور :** التى قال بها الزمخشرى فى تفسيره للآية أن الصاعقة إنما أخذتهم لانهم سألوا محالا وليس فى الآية ما ينص على ان ذلك هو السبب بل الآية محتملة له ولغيره والدليل إذا تطرق اليه الاحتمال سقط به الاستدلال كما يقول علماء المناظرة اما الاحتمالات الاخرى فى الآية فمنها أن الصاعقة إنما أخذتهم لتعليقهم الايمان على الرؤية وذلك سبب يستوجب العقوبة لأن الإيمان بالرسل بعد ظهور المعجزات واجب ومنها ان سؤالهم على سبيل التعنت والاستكبار لاعلى سبيل طلب الدليل والبرهان ولو كان سؤال استرشاد لكان الرد لطيفا قال إبن المنير[1] ((لقد انتهز الزمخشرى ما اعتقده فرصة من هذه الآية التى لا مطمع له عند التحقيق فى التثبت بها فبنى الأمر على أن العقوبة سببها طلب مالا يجوز على الله تعالى من الرؤية على ظنه وأنى له ذلك وثم سبب ظاهر فى العقوبة سوى مادعاه هو كل السبب وذلك أن موسى عليه السلام لما علم جواز رؤيته تعالى طلبها فى آية الاعراف فى دار الدنيا فأخبره الله تعالى انه لا يراه فى الدنيا وصار ذلك عنده وعند بنى اسرائيل اصلا مقررا كما هو عندنا إلا أن

(١) الانتصاف على ذيل الكشاف ج ١ ص ٧٠ ط – بيروت – لبنان دار المعرفة.

معاشر أهل السنة يرون أن الله تعالى لا يرى فى دار الدنيا لأنه أخبر أنه لا يرى والخبر واجب الصدق وكما اخبر انه لا يرى فى دار الدنيا فقد وعد الوعد الصادق عز وجل برؤيته فى الدار الآخرة وتخصيص ذلك بالمؤمنين وبعد استقرار هذا المعتقد طلب بنو اسرائيل الرؤية فى الدنيا تعنتا أو شكا فى الخبر فأنزل الله تعالى بهم تلك العقوبة وكيف تخيل الزمخشرى وشيعته ان موسى عليه السلام طلب من الله مالا يجوز عليه وهل هو لو كان الأمر على ما تخيله إلا كبنى إسرائيل ومعاذ الله لقد برأه من ذلك وكان عند الله وجيها.

ويبين الرازى كذلك أسبابا أخرى فيقول[1] فإن قال قائل : فما السبب فى استعظام سؤال الرؤية؟ الجواب فى ذلك يحتمل وجوها:

أحدهـــا: أن رؤية الله تعالى لا تحصل إلا فى الاخرة وكان طلبها فى الدنيا مستنكرا.

وثانيهـــا: أن حكم الله تعالى أن يزيل التكليف عن العبد حال ما يرى الله فكان طلب الرؤية طلبا لإزالة التكليف وهذا على قول المعتزلة أولى لأن الرؤية تتضمن العلم الضرورى والعلم الضرورى ينافى التكليف.

وثالثهـــا: أنه لما تمت الدلائل على صدق المدعى كان طلب الدلائل الزائدة تعنتا والمتعنت يستوجب التعنيف.

ورابعها : لا يمتنع أن يعلم الله تعالى أن فى منع الخلق عن رؤيته سبحانه فى الدنيا ضربا من المصلحة المهمة فلذلك استنكر طلب الرؤية فى الدنيا كما علم ان فى إنزال الكتاب من السماء وإنزال الملائكة من السماء مفسدة عظيمة فلذلك استنكر طلب ذالك والله اعلم.

ويقول أبو البركات النسفى [2] : وتعلقت المعتزلة بهذه الآية فى نفى الرؤية لانه لو كان جائز الرؤية لما عذبوا بسؤال ما هو جائز الثبوت قلنا : إنما عوقبوا بكفرهم لان قولهم:

(١) تفسير الرازى ج ٣ ص ٩٢ ط. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٢)النسفى هو : ابو البركات عبد الله بن احمد بن محمود النسفى نسبة إلى (نسف) من بلاد ما وراء النهر الحنفى صاحب التصانيف الكثيرة والتى منها : متن الوافى فى الفروع وشرحه الكافى وكنز الدقائق (ومدارك التنزيل وحقائق التأويل) فى التفسير توفى سنة ٧٠١هـ الدرر الكامنة : ٢٤٧/٢ والتفسير والمفسرون للذهبى ج ١ ص ٣٣١.

(لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) كفر منهم ولأنهم إمتنعوا عن الإيمان بموسى بعد ظهور معجزته حتى يروا ربهم جهرة والإيمان بالأنبياء واجب بعد ظهور معجزاتهم ولا يجوز اقتراح الآيات عليهم ولأنهم لم يسألوا سؤال استرشاد بل سؤال تعنت وعناد[١].

وبهذا يتبين أن الزمخشرى قد حمل ألفاظ الآية فوق ما تحتمل حيث جعل من الآية مراجعة لسؤال وتكرار الطلب وجعل الرؤية مستحيلة وجعل سبب العذاب سؤال المستحيل.

وأيضا فإن سياق الآية من سباق ولحاق يدل على ان مورد الآية ليس لبيان هل الرؤية جائزة أو مستحيلة بل الآيات تعدد جنايات بنى إسرائيل مع توالى النعم عليهم فالآيات وردت لابراز ذلك والايات تبدأ من قوله تعالى :**﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾**[٢] **﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ * وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ ٥١} ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾**[٣]

** **وهنا نقول :** إن هذه الآية مثلا ليس المقصود منها ذكر المواعدة أربعين ليلة وإنما ذكرت المواعدة لأنه ترتب عليها جناية وهى اتخاذ العجل ونعمة وهى العفو ومثله فى آيتنا ليس المقصود منها ذكر طلب الرؤية جهارا لأنه ترتب عليها محنه وهى أخذهم بالصاعقة ثم نعمة وهى البعث بعد الموت فالمقصود الأول من الآيات إظهار نعم الله تعالى عليهم.

قال الرازى [٤] : اعلم ان هذا هو الانعام السادس بيانه من وجوه احدها : :انه تعالى قال اذكروا نعمتى حين قلتم لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة

(١) تفسير النسفى ج ١ ص ٤٩.
(٢) سورة البقرة آية ٤٧.
(٣) سورة البقر الآيات من ٤٩ : ٥٣.
(٤) الرازى ج ٣ ص ٨٩ط . دار الفكر.

ثم أحييتكم لتتوبوا. عن بغيكم وتتخلصوا عن العقاب وتفوزوا بالثواب... الخ. من الوجوه التى رأها الإمام الرازى.

فموضع الإنعام – كما يذكره الإمام – هو الإحياء بعد الصعق لأجل التوبة عن البغى والتخلص من العقاب والفوز بالثواب وهو المطلوب من الآية وذكرها لا الكلام على الرؤية.

** **الآية الثانية** :-

أما ثانى الآيات التى تجاذبها المعتزلة وأهل السنة فهى قول الله تعالى: **﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاء فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُواْ الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُّبِينًا﴾**[١]

ويجد القاضى عبد الجبار الآية فرصة ليستدل بها على نفى الرؤية والقول باستحالتها فيقول[٢] ((يدل على نفى الرؤية عن الله تعالى لأنه عظَّم من قوم موسى هذه المسألة وأكبرها وجعلها لعظمها مثلا فى تكذيب القوم بالنبى صلى الله عليه وسلم فى المعجز واقتراحهم عليه فى المعجز ما اقترحوا وتركهم الايمان به مع ما قد ظهر عليه من القرآن وسائر المعجزات وبين انهم عند هذا السؤال أخذتهم الصاعقة وبين أنهم ظلموا فيما سألوا لان مسألتهم وإن لم تكن ظلما للغير فهى ظلم لأنفسهم وكل ذلك يبين ما قلناه.

فإن قال : إذا كان ما سأله أهل الكتاب من إنزال من السماء سوى القرآن امرا مجوزا فيجب فيما شبه به من مسألة الرؤية ان يكون مجوزا.

قيل له : يجب ان ينظر إلى وجه التشبيه دون ما عداه من الأحكام وإنما شبه تعالى أحد الآخرين بالآخر لأنه تضمن الرد على الرسول والتكذيب له والعدول عن تصديقه والتماس أمر آخر مع ظهور الحجة وقيام الدلالة فأما الوجه الذى قال فلم يقع التشبيه

(١) النساء : ١٥٣.
(٢) متشابه القرآن ج١ ص ٢١٠/٢١١ ط . مكتبة دار التراث.

وإنما يفارق أحدهما الاخر فى هذا الباب لأن ما سأله أهل الكتاب يتعلق بالاختيار من انزال الكتاب وما سألوه يتعلق بصفات ذاته فلا يجب أن يكون بمنزلته.

فأول دلالات القاضى على نفى الرؤية تعظيم الله تعالى لسؤال الرؤية من قوم موسى والمعبر عنها فى الآية بقوله تعالى: ﴿فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ من ذلك﴾

وثانى الدلالات أخذهم بالصاعقة **وثالثها** إنزال الكتاب وفرق بينهما.

أما جار الله الزمخشرى فيبين وجه استدلاله من الآية على نفى الرؤية بقوله[١]: ﴿بظُلْمِهِمْ﴾ بسبب سؤالهم ولو طلبوا أمرا جائز لما سموا ظالمين ولما أخذتهم الصاعقة كما سأل موسى عليه السلام [٢] أن يريه إحياء الموتى فلم يسمه ظلما ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة ورميا بالصواعق.

فجار الله يوافق القاضى فى ان تسميتهم ظالمين دليل على كونهم سائلين للمحال وقاس على سؤال سيدنا إبراهيم عليه السلام ربه إحياء الموتى وثانى دلالته رميهم بالصاعقة.

**** مناقشة رأى القاضى والزمخشرى :-**

يستدل القاضى بلفظ ﴿أكبر﴾ فى الآية على ان ما قبلها جائز وما بعدها مستحيل مع ان البداهة تعطى عدم التلازم بين وصف أحدهما أكبر من الآخر وبين كون أحدهما جائزا والآخر مستحيلا بل الأمور الجائزة توصف فيما بينها بالصغر والكبر والأمثلة فى القرآن على ذلك كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾[٣]وقوله: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾[٤] فالقتل من الفتنة والبغضاء المبداه من الأشياء التى تنطوى عليها صدورهم وكلا الأمرين جائز وعليه لا يلزم أن يكون أحدهما مستحيلا.

والأولى أن يفهم التعظيم والإكبار على أنهم كانوا أكثر تعنتا حيث أرادوا ان ينتقلوا من الإيمان بالغيب إلى الإيمان القهرى الذى لا ملجأ لمشاهده إلا الإيمان وليس

---

(١) الكشاف ج١ ص ٣١٠.

(٢) هكذا فى الطبعة التى بيدى والصحيح انه سيدنا إبراهيم عليه السلام كما سورة البقرة : ٢٦٠.

(٣) سورة البقرة آية ٢١٧.

(٤) سورة آل عمران آية ١١٨.

على مثل هذا الإيمان يجازى الله خلقه فالملائكة وان كانوا إنما يرون أسباب الله المباشرة فى خلقه ويشاهدون قدرة الله تعالى المطلقة فى خلقه يستبعد النبى ﷺ منهم عدم الإيمان قال ابن كثير[١] وروى الحسن بن عرفه العبدى حدثنا اسماعيل بن عياش المصى عن المغيرة بن قيس التميمى عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده قال: قال رسول الله ﷺ ((أى الخلق أعجب إليكم إيمانا؟ قالوا الملائكة ، قال : ومالهم لا يؤمنون وهم عند ربهم.... الحديث قال ابن كثير وقال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه))[٢]

والملائكة لهذا الإيمان كانوا فى تدبير شئون بنى آدم فمنهم الحفظة والكتبة ويوم القيامة يكونون أداة لتنعيم بنى آدم فى الجنة: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلآئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ * سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[٣].

ويتفق جار الله مع القاضى فى ان أخذهم بالصاعقة دليل على انهم سألوا المحال وقد تكلمنا عن هذا الوجه فى آية البقرة ومخلصة أنه ليس فى الآية نص على ان ذلك هو السبب وهناك احتمالات اخرى فى الآية منها سؤالهم على سبيل التعنت لا الاسترشاد وتوقيفهم الإيمان على الرؤية مع أن الإيمان يجب بظهور الأدلة.

ويتفق أيضا جار الله مع القاضى فى ثالث الدلالات من الآية وهى وصفهم بالظلم دليل على انهم سألوا المحال.

ولكنا نقول والسائل على سبيل التعنت يعتبر ظالما كذلك والموقف الإيمان على الرؤية بعد ظهور الأدلة والبراهين يعتبر ظالما وما ترجيح ذلك على غيره إلا حمل الآية على مذهبهم من غير موجب لذلك.

---

(١) تفسير إبن كثيرج١ ص ٤٠ ط, دار الحديث وإبن كثير هو ألإمام الجليل عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن عمرو بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع البصرى ثم الدمشقى أخذ عن إبن تيميه وفتن بحبه وامتحن بسببه ولد سنة ٧٠٠ وتوفى سنة ٧٧٤. طبقات المفسرين للداودى ص ٣٢٧.

(٢) مستدرك الحاكم ج ٤ ص ٨٥ ط. دار المعرفة وكشف الخفا ١ / ٣٢٧.

(٣) الرعد : ٢٣ ، ٢٤.

بل نجد الإمام الرازى ينص على ان حمل الآية على بعض الوجوه اعتماد على ضروب من الأمثلة التى لا تليق بأهل العلم[١].

قال النسفى [٢] ﴿بِظُلْمِهِمْ﴾ على أنفسهم بسؤال شئ فى غير موضعه أو بالتحكم على نبيهم فى الآيات وتعنتهم فى سؤال الرؤية لا بسؤال الرؤية لأنها ممكنة كإنزال القرآن ولو كان ذلك بسبب سؤال الرؤية لكان موسى بذلك أحق فإنه قال:﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[٣] وما أخذته الصاعقة بل أطمعه وقيده بالممكن ولا يعلق بالممكن إلا ما هو ممكن الثبوت.

ويوجه الإمام البيضاوى [٤] إلى بعض الوجوه المحتملة لتفسير ظلمهم فيقول[٥]((فأخذتكم الصاعقة)) لفرط العناد والتعنت وطلب المستحيل فإنهم ظنوا انه سبحانه وتعالى يشبه الاجسام وطلبوا رؤيته رؤية الأجسام فى الجهات والأحياز المقابلة للرائى وهى محال بل الممكن أن يرى رؤية منزهة عن الكيفية وذلك للمؤمنين فى الآخرة ولا فراد من الأنبياء فى بعض الأحوال فى الدنيا.

وقال الشهاب[٦] :التعنت سؤال مالا يليق وجعل الرؤية مستحيلة لا لأنها فى ذاتها كذلك بل لأنهم من جهة ما اعتادوا بإحاطة البصر وهو مستحيل وهورد للمعتزلة فى استدلالهم بهذه الآية على إستحالة الرؤية مطلقا ويدل على ذلك عقابهم.

---

(١) الرازى ج ٣ ص ٣ ص ٩٢ ط. دار الفكر.

(٢) تفسير النسفى ج١ ص ٢٦٠ – ٢٦١.

(٣) سورة الأعراف الآية ١٤٣.

(٤) البضاوى : هو قاضى القضاه ناصر الدين ابو الخير عبد الله بن عمر بن محمد بن على البيضاوى الشافعى وهو من بلاد فارس ولى القضاء بشيراز من مصنفاته كتاب المنهاج وشرحه فى أصول الفقه (وأنوار التنزيل وأسرار التأويل) فى التفسير توفى سنة ٦٩١هـ وقيل سنة ٦٨٥هـ. طبقات المفسرين للدأودى ص ١٠٢ – ١٠٣.

(٥) حاشية الشهاب على البيضاوى ج ٢ ص ١٦٤.

(٦) نفس المرجع السابق والشهاب هو أحمد بن محمد بن عبد المولى بن جَبارة المقدسى الحنبلى المقرئ شهاب الدين ابوالعباس ولد سنة ٦٤٧هـ وتوفى سنة ٧٢٨ طبقات المفسرين للدأودى ص٨٠.

قوله (فإنهم ظنوا أن الله...الخ) هذا رد على المعتزلة إذ استدلوا بها على استحالة الرؤية للتكفير بطلبها لأن التكفير ليس لهذا بل لما فى طلبها من الاشعار بالتجسيم وتعليقهم الايمان بما لا يكون وكون الرؤية واقعة فى الدنيا لبعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما فى المعراج مذهب كثير من السلف.

وقال الشيخ زاده معلقا على كلام البيضاوى [١] (فإن المقصود الأهم من إرسال موسى عليه السلام بعد هلاك فرعون وخلاص بنى إسرائيل من قهره هو ان يؤمنوا بالله وبكتابه وبصدق رسوله فى دعوى الرسالة وما يتعلق بالطور إنما هو لإثبات هذه المقاصد فعلق القوم إيمانهم بهذه المذكورات برؤية الله تعالى عيانا وان تخبرهم بانه هو الله الذى لا إله إلا هو وانه الذى أرسل إليهم موسى ليرشدهم إلى الصراط المستقيم والشرع القويم وانه أنزل إليه التوراة ليحكم بما فيها ويأمرهم بإتباعه إلا ان هذا التعنت منهم لما وقع بعد ظهور واضح المعجزات الباهرة الدالةعلى صدق موسى فى جميع ما اخبر به كان ذلك سؤال تعنت وطلبا للدليل الزائد على ما قام وكفى فى اثبات المطلوب فأوجب ان ينزل العذاب عليهم لان العنت يستوجب العقاب فلذلك قال تعالى : ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ أى لفرط العناد والتعنت فإن كفرهم وكونهم معاقبين بالصاعقة ليس من حيث ان رؤيته تعالى مستحيلة مطلقا وأنهم طلبوا ذلك المستحيل كما ذهب إليه المعتزلة بل إنما أخذتهم الصاعقة لأنهم لم يسألوا ما سألوه على وجه الإسترشاد والإهتداء للحق وإنما سألوه سؤال تعنت وعناد لأنه لما تمت الدلائل الدالة على صدق مدعى الرسالة كان طلب الدليل الزائد عليها تعنتا وعنادا فلذلك استوجب العذاب.

ولجار الله وجه استدلال من الآية وهو قياس سؤالهم على سؤال خليل الله ابراهيم عليه السلام حيث إن خليل الله سأل إحياء الموتى فلما كان ذلك جائزا لم تأخذه الصاعقة أما أهل الكتاب لما سألوا المستحيل رماهم الله بالصاعقة.

وانى لأستبعد مثل هذا الاستدلال وأقول إنه قد أغرب فى الإستدلال وبيان وجه دلالته فكيف يقيس خليل الله على من عادوا رسالات الله وفرقوا بين رسل الله وعادوا جبريل الامين فسؤال الخليل سؤال استرشاد واطمئنان للقلب والدليل على ذلك أن

---

(١) زاده على البيضاوى ج ١ ص ٢٠٢ ، ٢٠٣.

الإيمان متحقق عنده فالله تعالى يقول له عقب السؤال ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَـكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[١]

أما قوم موسى فقد أعلنوها صراحة ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾[٢] ولذلك اختلف الجواب على السؤالين من الله فالمسترشد وضح له والمتعنت أخذته الصاعقة.

قال العلامة الالوسى [٣] ((واستدل الزمخشرى بالآية على الامتناع مطلقا وبنى ذلك على كون الظلم المضاف اليهم لم يكن إلا لمجرد انهم طلبوا الرؤية ثم قال: ولو طلبوا امرا جائزا لما سموا به ظالمين ولما أخذتهم الصاعقة كما سأل ابراهيم عليه الصلاة والسلام إحياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصواعق ثم ارعد وابرق ودعا على مدعى جواز الرؤية بما هو به أحق)).

*** * الآية الثالثة :-**

قوله تعالى ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾[٤] وهذه هى الآية الثالثة التى تجاذبتها أوجه الدلالة بين أهل السنة والمعتزلة وهى فيما تبدو لبادئ النظر من أقوى أدلة المعتزلة على نفى الرؤية حيث صرحت الآية بعدم إدراك الأبصار للبارئ سبحانة وسيقت مساق المدح ولذلك وجدنا الإمام عبد الجبار القاضى يقول وجه الدلالة مسلما به فى تنزيهه للقرآن فيقول[٥]: فأما دلالة قوله عز وجل ((لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار" على انه لا يجوز ان يرى بالأبصار فبين وذلك مشروح فى الكتب)) ثم يشرح ذلك بعض الشرح فى متشابه القرآن له فيقول[٦]: ((وقوله تعالى **(لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)** يدل على انه تعالى لا يجوز ان يرى بالأبصار والعيون على وجه فى كل وقت من غير تخصيص لأنه تعالى عم

(١) سورة البقرة آية ٢٦٠.
(٢) سورة البقرة آية ٥٥.
(٣) روح المعانى ج ٦ ص ١٠ط . دار الفكر.
(٤) سورة الأنعام آية ١٠٣.
(٥) تنزيه القرآن ص ١٣٥.
(٦) متشابه القرآن ج١ ص ٢٥٥.

بالنفى وذكر ذلك على جهة التنزه والمدح بنفيه مما يرجع إلى ذاته لم يقع اثباته إلا ذما فيجب ان يدل الظاهر على ما قلناه كما كان يدل لو قال: لا تراه الأبصار لان الإدراك إذا قرن بالبصر زال عنه الاحتمال ولا يجوز فى اللغة ان يرد به إلا الرؤية بالبصر ولذلك يجريان فى النفى والإثبات على حد واحد.

والقاضى حين تعرض لبيان الآية كما سبق يشرح ألفاظها ويطرق سياقها وإنها واردة فى معرض المدح وهو اتجاه حسن منه بخلاف جار الله الزمخشرى الذى أقحم فى معنى الآية الالزامات العقلية التى لا تدل عليها ألفاظ الآية من قريب أو بعيد إذ يقول[١] ((البصر هو الجوهر اللطيف الذى ركبه الله فى حاسة النظر به تدرك المبصرات فالمعنى ان الأبصار لا تتعلق به ولا تدركه لأنه متعال ان يكون مبصرا فى ذاته لان الإبصار إنما تتعلق بما كان فى جهة أصلا أو تابعا كالأجسام والهيئات **(وهو يدرك الأبصار)** وهو للطف إدراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التى لا يدركها مدرك (وهو اللطيف) يلطف عن ان تدركه الابصار (الخبير) بكل لطيف فهو يدرك الابصار لا تلطف عن ادراكه وهذا من باب اللطف)).

وحين ننظر فى كلام الإماميين نجد القاضى يستدل بعدة أمور على نفى رؤية الله سبحانه وهى :-

١- عموم النفى فى الآية الكريمة فالآية نفت الإدراك مطلقا ولم تستثن وقتا من الأوقات أو حالا من الأحوال.

٢- مقام الآية فالآية جاءت للتمدح وما تمدح بنفيه فإثباته ذم.

٣- اقتران البصر بالإدراك لا يدل إلا على الرؤية بالبصر فمعنى لا تدركه الأبصار أى لا تراه.

ونجد جار الله يشرح البصر وانه هو الجوهر اللطيف الذى ركبه الله فى حاسة النظر به تدرك المبصرات فهذه الآلة لا يصح ان ترى الله تعالى لسببين عند الإمام:-

(١) الكشاف ج٢ ص٣٢.

أولهما : انه تعالى متعالى فى ذاته عن تلك الآلة أن تراه.

ثانيهما: ان تلك الآلة تجعل من تراه فى جهة والله منزه عن الجهة والجسمية والآية كما نرى تعتبر من أقوى الأدلة النقلية فى الاحتجاج لرأى المعتزلة فى منع الرؤية والقول باستحالتها ، ولكن أهل السنة – رحمهم الله تعالى – لهم فيها كلام وتفسير بما لا يجعلها تتنافى مع النصوص المصرحة بالنظر إلى وجه الله تعالى فى مثل قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[١] وقد ردوا على هذه الأوجه التى ذكرها القاضى وجار الله ونحن نذكرها وجها وجها لنرى وجه الصواب فيها.

أما الوجه الأول فى كلام القاضى – عبد الجبار – وهو العموم الموجود فى الآية فإنها نفت الإدراك فى كل الأوقات وعلى جميع الأحوال.

* ولكنا نقول : يسلم للقاضى بالعموم إذا لم يرد عليه تخصيص فى نص آخر أما إذا جاء مخصص وخصص وقتا آخر فيجب القول به وإن كان ذلك المخصص منفصلا عن المخصص وآية القيامة قد خصصت أصحاب الوجوه الناضرة أى أهل النعيم فى الجنة يوم القيامة قال تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[٢] إذن العموم غير مسلم له ولكنه خص بأنه – اى عدم الإدراك – فى دار الدنيا.

ولكنا نجد جوابا لهذا الرد فى شرحه للأصول إذ يقول[٣] فإن قيل قوله تعالى: ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾ عام فى دار الدنيا ودار الآخرة وقوله:﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ خاص فى دار الآخرة ومن حق العام[٤] أن يحمل على الخاص[٥]. كما ان من حق المطلق[٦] ان يحمل على المقيد[٧] وربما يستدلون بهذه

(١) سورة القيامة آية ٢٢/٢٣.

(٢) سورة القيامة آية ٢٢/٢٣.

(٣) شرح الأصول الخمسة ص ٢٤٢.

(٤) العام : هو اللفظ المستغرق لما يصلح له من غير حصر.

(٥) الخاص : ما يقابل العام فهو يتناول بعض أفراد العام.

(٦) المطلق : هو ما دل على الحقيقة بلا قيد.

(٧) المقيد : مادل على الحقيقة بقيد ومثال العام ومخصصه ((والعصر ان الإنسان لفى خسر إلا الذين أمنوا)) العموم فى الإنسان والخصوص فى الإستثناء ومثال المطلق ومقيده قوله تعالى (فتحرير رقبه...) المجادلة : ٣ وتقيدها بالإيمان فى النساء

الآية ابتداء على انه تعالى يرى فى دار الآخرة. وجوابنا ان العام إنما يبنى على الخاص إذا أمكن تخصيصه وهذه الآية لا تحتمل التخصيص لأنه تعالى يمدح بنفى الرواية [١] عن نفسه مدحا راجعا إلى ذاته وما كان نفيه مدحا راجعا إلى ذاته كان اثباته نقصا والنقص لا يجوز على الله تعالى على وجه. ومجمل هذا الرد هو ما استفدناه من كلام القاضى فى (متشابه القرآن) وهو ان المقام مقام مدح وما تمدح الله به نفسه بنفيه فإثباته ذم. ونحن نتفق مع الإمام فى ان المقام مقام مدح ولكنا إذا فسرنا عدم الإدراك بعدم الرؤية فما المدح فى الاحتجاب الكامل عن المخلوقين إن مطلق الاحتجاب لا يدل على أى مدح أما الرؤية بدون احاطة بالمرئى فهو.كمال التنزيه ان الله سبحانه وتعالى نخبر عنه بأنه موجود ولكنه وصف يليق به سبحانه فليس لوجوده أول ولا انتهاء وهذا هو كمال الوصف بالوجود وكذلك إذا قلنا انه سبحانه يرى ولكن بلا احاطة ولا إدراك لكنهه تعالى فهذا يعتبر أعلى مقامات المدح.

قال النسفى[٢] ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارَ﴾ لا تحيط به أبصار من سبق ذكرهم[٣] وتشبث المعتزلة بهذه الآية لا يستتب لأن المنفى هو الإدراك لا الرؤية والإدراك هو الوقوف على جوانب المرئى وحدوده وما يستحيل عليه الحدود والجهات يستحيل ادراكه لا رؤيته فنزل الإدراك من الرؤية منزلة الإحاطة من العلم ونفى الإحاطة التى تقتضى الوقوف على الجوانب والحدود لا يقتضى نفى العلم به فهكذا هذا على أن مورد الآية وهو التمدح يوجب ثبوت الرؤية إذ نفى إدراك ما تستحيل رؤيته لا تمدح فيه لان كل ما لا يرى لا يدرك وإنما التمدح بنفى الادراك مع تحقق الرؤية إذ انتفاؤه مع تحقق الرؤية دليل ارتفاع نقيصة التناهى والحدود عن الذات فكانت الآية حجة لنا عليهم ولو أنعموا النظر فيها لاغتنموا التفصى عن عهدتها[٤] ومن ينفىالرؤية يلزمه نفى انه

(١) هكذا بالكتاب والصواب الرؤية.

(٢) تفسير النسفى ج٢ ص ٢٧.

(٣) هذا جواب ثان من الإمام أبى البركات والمراد به الحجب عن المشركين فقد سبق ذكرهم فى قوله تعالى ((وجعلوا لله شركاء الجن)) .. آية ١٠٠ ن سورة الأنعام.

(٤) يقال تفصيت من الأمر تفصيا إذا خرجت منه وتخلصت. النهاية فى غريب الاحاديث لأبن الاثير الجزرى ٤٠٥/٣.

معلوم موجود وإلا فكما يعلم موجودا بلا كيفية وجهه بخلاف كل موجود لم[١] يجز أن يرى بلا كيفية وجهة بخلاف كل مرئى.

والإمام الطبرى كذلك يفرق بين الإدراك والرؤية ويجعل سبب ذلك أن الله تعالى أخبر خبرين أحدهما أن الأبصار لا تدركه والاخر أن الوجوه تنظر إليه تعالى وقال انه لا يجوز أن نقول بالنسخ لأن النسخ لا يدخل الأخبار لأن القول بالنسخ فى الأخبار يؤدى إلى القول بالكذب فى أحد الخبرين تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

يقول الإمام الطبرى[٢] القول فى تأويل قوله تعالى: ﴿**لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله تعالى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار فقال بعضهم معناه لا تحيط به الأبصار وهو يحيط بها ثم ذكر بسنده إلى ابن عباس يقول لا يحيط بصر أحد بالملك وإلى قتاده[٣] قوله وهو اعظم من ان تدركه الأبصار وإلى عطية العوفى[٤] فى قوله: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾[٥] قال هم ينظرون إلى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره يحيط بهم فذلك قوله لا تدركه الأبصار الآية واعتل من قالوا هذه المقالة لقولهم هذا بأن قالوا : إن الله قال: ((فلما أدركه الغرق قال أمنت))[٦] قالوا فوصف الله تعالى ذكره الغرق بأنه أدرك فرعون ولاشك أن الغرق غير موصوف بأنه رآه ولا هو مما يجوز وصفه بأنه يرى شيئا قالوا فمعنى قوله (**لا تدركه الأبصار**) بمعنى لا تراه بعيد لأن الشئ قد يدرك

---

(١) لا أحسب إلا ان ههنا أداة إستفهام ساقطة تقديرها فلم لم يجز.

(٢) الطبرى ج٧ ص ١٩٩ – ٢٠٠ ط. دار الجبل – بيروت.

(٣) قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن الحارث إبن سدوس ابو الخطاب السدوسى البصرى ولد اكمه كان احفظ من بالبصرة لم يسمع شيئا إلا حفظه قال عمرو بن على ولد سنة ٦١ ومات سنة ١١٧ وقال ابو حاتم : توفى بواسط فى الطاعون وهو إبن ست أو سبع وخمسين سنة. انظر تهذيب التهذيب ج٨ ص٣٠٦.

(٤) عطيه العوفى هو : عطيه بن سعد بن جنادة العوفى الجدلى القيسى الكوفى ابو الحسن روى عن أبى هريرة و إبن عباس وإبن عمر وروى عنه إبناه الحسن وعمرو والأعمش قال الحضرمى : توفى سنة أحدى عشر ومائة. تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٩٤.

(٥) سورة القيامة آية رقم: ٢٢، ٢٣.

(٦) جزء من آية ٩٠ سورة يونس وصوابها إذا أدركه الغرق لا فلما أدركه الغرق.

الشئء ولا يراه كما قال جل ثناؤه مخبرا عن قول أصحاب موسى عليه السلام لموسى حين قرب منهم أصحاب فرعون ﴿**فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ**﴾[١]

لأن الله قد كان وعد نبيه موسى انهم لا يدركون لقوله:﴿**وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى**﴾[٢] قالوا فإن كان الشئ قد يرى الشئ ولا يدركه ويدركه ولا يراه فكان معلوما بذلك ان قوله تعالى لا تدركه الأبصار من معنى لا تراه الأبصار بمعزل وان معنى ذلك لا تحيط به الأبصار لأن الاحاطة به غير جائزة قالوا : فالمؤمنون وأهل الجنة يرون ربهم بأبصارهم ولا تدركه أبصارهم بمعنى أنها لا تحيط به إذ كان غير جائز ان يوصف الله بأن شيئا يحيط به وكما قال جل ثناؤه ﴿**وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ**﴾[٣] قالوا : فنفى جل ثناؤه عن خلقه أن يكونوا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء قالوا : ومعنى العلم فى هذا الموضع المعلوم قالوا : فلم يكن فى نفسه عن خلقه ان يحيطوا بشئ من علمه إلا بما شاء نفى عن ان يعلموه قالوا: فإذا لم يكن فى نفى الاحاطة بالشئ علمت نفى للعلم به كان كذلك لم يكن فى نفى إدراك الله عن البصر نفى رؤيته له قالوا : وكما جاز ان يعلم الخلق اشياء لا يحيطون علما كذلك جائز ان يروا ربهم بابصارهم ولا يدركوه بأبصارهم إذا كان معنى الرؤية غير معنى الإدراك ومعنى الإدراك غير معنى الرؤية وان معنى الإدراك إنما هو الاحاطة كما قال ابن عباس فى الخبر الذى ذكرناه قبل قالوا: فإن قال لنا قائل وما انكرتم ان يكون معنى قوله: ﴿**لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ**﴾ لا تراه الأبصار قلنا له : انكرنا ذلك لان الله جل ثناؤه اخبر فى كتابه أن وجوها فى القيامة اليه ناظرة وان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر امته انهم سيرون ربهم يوم القيامة كما يرى القمر ليلية البدر[٤] وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب قالوا : فإذا كان الله قد اخبر كتابه

---

(١) سورة الشعراء آية ٦١.

(٢) سورة طه آية ٧٧.

(٣) سورة البقرة آية ٢٥٥.

(٤) البخارى رقم ٥٤٤ انظر الفتح ج ١٣ ص ٤٢٩ ومسلم ٤٣٩/١ وابن ماجه ج١ ص ٦٣ رقم ١٧٧ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقى ط. دار احياء الكتب العلمية.

بما أخبر وحققت أخبار رسول الله ﷺ بما ذكرنا عنه من قيله أن تأويل قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ انه نظر ابصار العيون لله جل جلاله وكان كتاب الله يصدق بعضه بعضا وكان مع ذلك غير جائز أن يكون أحد هذين الخبرين ناسخا للأخر إذ كان غير جائز فى الأخبار لما قد بينا فى كتابنا كتاب لطيف البيان عن أصول الأحكام وغيره علم أن معنى قوله (لا تدركه الأبصار) غير معنى قوله: (وجه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) فإن أهل الجنة ينظرون بابصارهم يوم القيام إلى الله ولا يدركونه بها تصديقا لله فى كلا الخبرين وتسليما لما جاءبه تنزيله على ما جاء به فى السورتين. أ.هـ من الطبرى.

ويمسك الإمام الرازى بنفس المقام – مقام المدح – ويجعل منه اساسا للقول برؤيته سبحانه إذ يقول[١] فى شرحه للمسألة الأولى : احتج أصحابنا بهذه الآية على انه تعالى تجوز رؤيته للمؤمنين يرونه يوم القيامة من وجوه:-

الاول : فى تقرير هذا المطلوب ان نقول هذه الآية تدل على انه تعالى تجوز رؤيته وإذا ثبت هذا وجب القطع بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة.

أما المقام الأول فتقريره : انه تعالى تمدح بقوله (**لا تدركه الأبصار**) وذلك ما يساعد الخصم عليه وعليه بنوا استدلالهم فى اثبات مذهبهم فى نفى الرؤية وإذا ثبت هذا فنقول: لو لم يكن تعالى جائز الرؤية لما حصل التمدح بقوله لا تدركه الأبصار ألا ترى أن المعدوم لا تصح رؤيته والعلم والقدرة والإرادة والروائح والطعوم لا يصح رؤية شئ منها لشئ منها ولا مدح فى كونها بحيث لا تصح رؤيتها فثبت ان قوله لا تدركه الأبصار يفيد المدح وثبت ان ذلك إنما يفيد المدح لو كان صحيح الرؤية وهذا يدل على ان قوله تعالى لا تدركه الأبصار يفيد كونه تعالى جائز الرؤية وتمام التحقيق فيه : ان الشئ إذا كان فى نفسه بحيث يمتنع رؤيته فحينئذ لا يلزم من عدم رؤيته مدح وتعظيم للشئ أما إذا كان فى نفسه جائز الرؤية ثم انه قدر على حجب الأبصار عن رؤيته وعن إدراكه كانت هذه القدرة الكاملة دالة على المدح والعظمة فثبت ان هذه الآية دالة على انه تعالى جائز الرؤية بحسب ذاته.

---

(١) تفسير الرازى ج ١٣ ص ١٣٠ – ١٣١.

وإذا ثبت هذا وجب القطع بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة والدليل عليه ان القائل قائلان : قائل بجواز الرؤية مع أن المؤمنين يرونه وقائل قال : لا يرونه ولا تجوز رؤيته فأما القول بأنه تعالى تجوز رؤيته مع أنه لا يراه أحد من المؤمنين فهو قول لم يقل به أحد من الأمة فكان باطلا فثبت بما ذكرنا ان هذه الآية تدل على انه تعالى جائز الرؤية فى ذاته وثبت انه متى كان الأمر كذلك وجب القطع بأن المؤمنين يرونه فثبت بما ذكرنا دلالة هذه الآية على حصول الرؤية وهذا استدلال لطيف من هذه الآية.أ.هـ.

ونجد الإمام الالوسى يوجه الآية على المدح كما وجهها الطبرى والنسفى من قبل ثم يبين وجها اخر فى الآية فيقول[١]: وذهب بعض المحققين ان الآية لم تسق للتمدح وإنما سيقت للتخويف بأنه سبحانه رقيب من حيث لا يرى فليحذر وأما قولهم ان اقترن البصر بالإدراك لا يدل إلا على الرؤية بالبصر فأقول: هذا الوجه يلزمنا إذا كان أهل السنة لا يقولون إلا بالرؤية بالبصر فيكون نفيه فى الآية نفى لقولهم بل نقول ان أبصارنا الحادثة هذه لا تصلح لرؤية الله تعالى وبالأخص فى الدنيا و إلا كان الاولى بها سيدنا موسى عليه السلام وإنما نقول أن الله سبحانه وتعالى يؤهل المنعمين لرؤيته تعالى إما بتعديل فى حواسهم وإما بحاسة اخرى الله يعلمها وللقيامة قوانين غير قوانين الدنيا.

ويتسأنس لما قلته بما أخرجه الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول وابو نعيم فى الحلية عن ابن عباس قال: ((تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾[٢] فقال الله تعالى يا موسى انه لا يرانى حى إلا مات ولا يابس إلا تدهده[٣] ولا رطب إلا تفرق وإنما يرانى أهل الجنة الذين لا تموت أعينهم ولاتبلى أجسادهم))[٤].ويبين ذلك

---

(١) روح المعانى ج ٥ ص ٣٥٨ط . دار الفكر.

(٢) سورة الأعراف آية ١٤٣.

(٣) تدهده : أى تدحرج بقال دهديت الحجر ودهدهته النهاية ١٣٣/٢ وفى اللسان : دهده الشئ فتدهده حدره من علو على سفل تدحرجا لسان العرب ٤٢٣/٤.

(٤) نوادر الأصول ص٣١٦ط. اسطنبول وحلية الأولياء ج ١٠ ص ٢٣٥ط . دار الكتب العليمة.

الإمام ذلك الإمام الغزالى[١] بيانا شافيا فيقول فى بيان المسلك الثانى وهو الكشف البالغ ان تقول : إنما انكر الخصم الرؤية لأنه لم يفهم ما نريده بالرؤيه ولم يحصل معناها على التحقيق وظن أنا نريد بها حالة تساوى الحالة التى يدركها الرائى عند النظر إلى الأجسام والألوان وهيهات فنحن نعترف بإستحالة ذلك فى حق الله سبحانه ولكن ينبغى ان نحصل معنى هذا اللفظ فى الموضع المتفق ونسبكه ثم نحذف منه ما يستحيل فى حق الله سبحانه وتعالى فإن نفى من معانيه معنى لم يستحل فى حق الله سبحانه وتعالى وأمكن ان يسمى ذلك المعنى رؤية حقيقة اثبتناه فى حق الله سبحانه وتعالى وقضينا بأنه مرئى حقيقة وان لم يكن اطلاق اسم الرؤية عليه إلا بالمجاز اطلقنا اللفظ عليه بإذن الشرع واعتقدنا المعنى كما دل عليه العقل.

وتحصيله : ان الرؤية تدل على معنى له محل وهو العين وله متعلق وهو اللون والقدر والجسم وسائر المرئيات فلننظر إلى حقيقة معناه ومحله وإلى متعلقه ولنتأمل ان الركن من جملتها فى إطلاق هذا الاسم ما هو.

فنقول : أما المحل فليس بركن فى صحة هذه التسمية فإن الحالة التى تدركها بالعين من المرئى لو ادركناها بالقلب أو الجهة مثلا لكنا نقول قد رأينا الشئ وابصرناه وصدق كلامنا فإن العين محل وآلة لا تراد لعينها بل لتحل فيه هذه الحالة فحيث حلت الحالة تمت الحقيقة وصح الاسم.

ونجد الإمام الغزالى أيضا رحمة الله تعالى يفند قول الزمخشرى فى قوله انه سبحانه لا يرى لذاته فيقول فى معرض بيان سبب ذكر مسألة الرؤية فى قطب النظر فى ذات الله سبحانه فيقول[٢] (ندعى ان الله سبحانه وتعالى مرئى خلافا للمعتزلة وإنما أوردنا هذه المسألة فى القطب المرسوم بالنظر فى ذات الله سبحانه وتعالى لأمرين:

أحدهما : أن ننفى الرؤية عما يلزم على نفى الجهة فأردنا أن نبين كيف يجمع بين نفى الجهة واثبات الرؤية.

---

(١) الاقتصاد فى الاعتقاد ص ٦٢ ، ٦٣ والغزالى هو : محمد بن محمد ابو حامد الغزالى ولد سنة ٤٥٠ هـ تفقه على إمام الحرمين وصنف الكثير منها احياء علوم الدين توفى سنة ٥٠٥هـ. البداية والنهاية ج ١٢ ص ٦٧١ط. دار الغد العربى.

(٢) الاقتصاد فى الاعتقاد ص ٥٩.

والثانى: انه سبحانه وتعالى عندنا مرئى لوجوده ووجود ذاته فليس ذلك إلا لذاته فإنه ليس لفعله ولا لصفة من الصفات بل كل موجود ذات فواجب ان يكون مرئيا كما انه واجب ان يكون معلوما ولست اعنى به انه واجب ان يكون معلوما ومرئيا بالفعل بل بالقوة[١] أى هو من حيث ذاته مستعد لأنه تتعلق الرؤية به وانه لا مانع ولا محيل فى ذاته له فإن إمتنع وجود الرؤية فلأمر خارج عن ذاته كما نقول : الماء الذى فى النهر مرو والخمر الذى فى الدن مسكر وليس كذلك لأنه يسكر ويروى عند الشرب ولكن معناه ان ذاته مستعدة لذلك فإذا فهم المراد منه فالنظر فى طرفين:

أحدهما : فى الجواز العقلى.

والثانى : فى الوقوع الذى لا سبيل إلى دركه إلا بالشرع ومهما دل الشرع على وقوعه فقد دل ايضا لا محالة على جوازه ثم دلل دليلا عقليا فقال: نقول ان البارى سبحانه موجود وذات وله ثبوت وحقيقة وإنما يخالف سائر الموجودات فى إستحالة كونه حادثا أو موصوفا بما يدل على الحدوث أو موصوفا بصفة تناقض صفات الالهية من العلم والقدرة وغيرهما فكل ما يصح لموجود فهو يصح فى حقه تعالى ان لم يدل على الحدوث ولم يناقض صفة من صفاته والدليل عليه تعلق العلم به فإنه لما لم يؤد إلى تغير فى ذاته ولا إلى مناقضة صفاته ولا إلى الدلالة على الحدوث سوى بينه وبين الاجسام والأعراض فى جواز تعلق العلم بذاته وصفاته والرؤية نوع علم لا يوجب تعلقه بالمرئى بغير صفة ولا يدل على حدوث فوجب الحكم بها على كل موجود.

وأما ما قاله جار الله – الزمخشرى – من أن الرؤية معناها جعل المرئى فى جهة والجهة محالة على الله تعالى فنقول : نعم الجهة محالة على الله تعالى ولكن من أين له ان الرؤية تستلزم ان يكون الله فى جهة.

---

(١) الشئ بالقوة هو عبارة عن الشئ فى دائرة إلا مكان أىقبل ان يتحقق الواقع تحققا فعليا أما الشئ بالفعل هو عبارة عن خروج الشئ من حيز الإمكان العقلى إلى حيز التحقق بالفعل فى الواقع الخارجى فالخمر فى الدن مسكرة بالقوة وبعد الشرب مسكرة بالفعل. انظر تاريخ الفلسفة اليونانية يوسف كرم ص ٦٨ط . لجنة التأليف والنشر بالقاهرة سنة ١٩٥٨.

يرد على ذلك الإمام الغزالى فيقول[١]: لم قلتم انه إن كان مرئيا فهو بجهة من الرائى أعلمتم ذلك بضرورة أم بنظر ولا سبيل إلى دعوى الضرورة واما النظر فلابد فى بيانه ومنتهاهم انهم لم يروا إلى الان شيئا إلا وكان بجهة من الرائى مخصوصة فيقال: ومالم ير فلا يحكم باستحالته ولو جاز هذا لجاز للمجسم أن يقول: إنه تعالى جسم لانه فاعل فإننا لم نر إلى فاعلا إلا جسما أو يقول إن كان فاعلا وموجودا فهو إما داخل العالم وإما خارجه وإما متصل وإما منفصل ولا تخلوا عنه الجهات الست فإنه لم يعلم موجود إلا هو كذلك فلا فضل بينكم وبين هؤلاء.وحاصله يرجع إلى الحكم بأن ما شوهد وعلم ينبغى أن لا يعلم غيره إلا على وفقه وهو كمن يعلم الجسم وينكر العرض ويقول لو كان موجودا لكان يختص بحيز ويمنع غيره من الوجود بحيث هو كالجسم ومنشأ هذا إحالة موجودات اختلاف الموجودات فى الخواص مع الاشتراك فى أمور عامة وذلك تحكم لا أصل له على ان هؤلاء لا يغفل عن معارضتهم بأن الله يرى نفسه ويرى العالم وهو ليس بجهة من نفسه ولا من العالم فإذا جاز ذلك فقد بطل هذا الخيال وهذا مما يعترف به أكثر المعتزلة ولا مخرج عنه لمن اعترف به ومن انكر منهم فلا يقدر على انكار رؤية الإنسان نفسه فى المرآة ومعلوم انه ليس فى مقابلة نفسه.أ.هـ من الاقتصاد.

**** الآية الرابعة:**

قوله تعالى: **﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[٢] هذه الآية تحكى طلب كليم الله عليه السلام لرؤية ربه وجواب الله عليه فى طلبه ورد موسى عليه السلام وتوبته من طلبه فهل موسي علية السلام لما سأل الرؤية سأل المستحيل وهل سؤاله لنفسه أم لقومه وإذا كان لقومه فلماذا خر صعقا ولماذا تاب من سؤاله؟

(١) الاقتصاد فى الاعتقاد ص ٦٠.

(٢) سورة الأعراف آية ١٤٣.

أما القاضى عبد الجبار فيرىان موسى عليه السلام قد سأل الرؤية لقومه لا لنفسه وان الله تعالى لم يأذن له بمثل هذا السؤال فلهذا صعقه وأخذتهم الرجفة وعليه فهو يفسر قوله تعالى : **﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾**[١] بأنه قول للسبعين وأن الصاعقة بمعنى الرجفة وأن صاعقة موسي عليه السلام كانت مع رجفة السبعين ولنا ان نعجب كل العجب ونحن نقرأ كلامه فى تنزيه القرآن إذ يقول:[٢]

مسألة : وربما قيل فى قوله تعالى:**((اتهلكنا بما فعل السفهاء منا))** كيف ذلك من موسى عليه السلام مع علمه بأنه لا يؤخذ بذنب غيره وجوابنا : أنهم سألوه رؤية تعالى ولم يقنعوا بما يكون من قبل الله تعالى فلما سأل صلى الله عليه وسلم (ارنى انظر اليك) لقومه لا لنفسه قال لن ترانى واكد ذلك بقوله ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف ترانى فشرط استقراره فلما لم يستقر بأن جعله دكا عند ذلك أخذتهم الصاعقة بظلمهم وخر موسى صعقا أفاق قال هذا القول توبيخا لقومه لأن الله عز وجل أخذه بذنب غيره ولذلك قال (إن هى إلا فتنتك) يعنى شدة التكليف وقد كان سأل الله الرؤية لقومه ولم يأذن جل وعز له فى ذلك والأنبياء صلى الله عليهم وسلم لا يسألون ربهم ما يرغبون إلا بعد الإذن فعلى هذا الوجه قال ما قال.

وفى متشابه القرآن يربط بين الايتين نفس الربط أعنى آية سؤال موسى عليه السلام للرؤية وآية أخذ السبعين بالرجفة ولكنه ينسب هذا الربط لبعض شيوخه فيقول فى معرض الرد على أهل السنة فى قولهم : كيف يسأل موسى ربه المحال[٣] وقد اختلفت أجوبة شيوخنا رحمهم الله فى ذلك فمنهم من قال : إنما سأل على لسان قومه لأنهم سألوه ذلك فأجابهم بأن الرؤية لا تجوز عليه فلم يقنعوا بجوابه وأرادوا ان يرد ذلك من الله تعالى ولذلك قال تعالى **﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُواْ مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُواْ أَرِنَا اللّهِ جَهْرَةً﴾**[٤] ولذلك قال تعالى **((أتهلكنا بما فعل السفهاء منا))** ولو كانت المسألة صدرت عنه لأمر يخصه لم يجز ان يقول ذلك وقد

(١) سورة البقرة آية ٥٥.

(٢) تنزيه القرآن ص ١٥٠ ، ١٥١.

(٣) متشابه القرآن ج١ – ص ٢٩٣.

(٤) سورة النساء آية ١٥٣.

بينا ان السائل إذا سأل لأجل غيره حسن ان يسأل ما يعلم أنه محال لكى يرد الجواب فتقع به إلا بانة إذا كان عنده أن ذلك إلى زوال الشبهة أقرب.

فمجمل كلام القاضى فى الكتابين – تنزيه القرآن ، متشابه القرآن – أن موسى عليه السلام سأل المحال ولكنه سأله لغيره وان الغير هم السبعون وعندما سأل أمام السبعين رجلا ليقتنعوا صعق هو وأخذتهم الرجفة هم.

أما جار الله تعالى الزمخشرى – فجعل موقف السبعين رجلا متقدما على موقف طلب سيدنا موسي عليه السلام للرؤية فإنهم بعد اخذ الرجفة لهم تمادوا فى طلبهم فطلبها موسى عليه السلام فيقول جار الله [١] – (أرنى انظر اليك) ثانى مفعول أرنى محذوف أى أرنى نفسك أنظر إليك (فإن قلت) الرؤية عين النظر فكيف قيل أرنى انظر إليك (قلت) معنى أرنى نفسك اجعلنى متمكنا من الرؤية التى هى الإدراك علم أن الطلبة هى الرؤية لا النظر الذى لا إدراك معه فقيل لن ترانى ولم يقل لن تنظر إلى (فإن قلت) كيف طلب موسى عليه السلام ذلك وهو من أعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه ومالا يجوز وبتعاليه عن الرؤية التى هى إدراك ببعض الحواس وذلك إنما يصح فيما كان فى جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال ان يكون فى جهة ومنع المجبرة[٢] إحالته فى العقول غير لازم لأنه ليس بأول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال حين أخذت الرجفة الذين قالوا أرنا الله جهرة أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إلى قوله تضل بها من تشاء فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا.

قلت : ما كان طلب الرؤية إلا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا وتبرأ من فعلهم وليقلمهم الحجر ذلك أنهم حين طلبوا الرؤية أنكر عليهم وأعلمهم الخطأ ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا فى لجاجهم وقالوا لابد ولن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأراد أن يسمعوا النص من عند الله بإستحالة ذلك وهو قوله (لن ترانى).

---

(١) الكشاف ج٢ ص ٨٩.

(٢) الجبرية : الجبر هو نفى الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى والجبربة أصناف جبرية خالصة هى التى لا تثبت فعلا للعبد ولا قدرة على الفعل أصلا والجبرية المتوسطة هى التى تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلا فأما من اثبت للقدرة الحادثة اثرا ما فى الفعل وسمى ذلك كسبا فليس ذلك بجبرى. انظر الملل والنحل للشهر ستانى ج١ ص٨٥.

هكذا يربط القاضى عبد الجبار والزمخشرى بين الآيات الثلاث ويجعلان زمان حدوث الثلاث واحداً آية البقرة فى حق قوم موسى:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[١]

وقوله تعالى فى حق موسى وطلبه للرؤية:**﴿وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَـكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾**[٢] وقوله تعالى فى حق السبعين رجلا:**﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاء مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاء وَتَهْدِي مَن تَشَاء أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾**[٣].

ولكن وضع الآيات الثلاث بإزاء بعضهم وإجالة النظر تجعلنا نقول بتغاير زمن الآيات الثلاث وذلك للأمور الآتية:–

أولا : آية السبعين رجلا المختارين لميقات الله سبحانه لم تصرح بالسبب الذى من أجله أخذوا بالرجفة مما يجعلنا نفسر سبب ذلك بعبادة العجل لا طلب الرؤية لأنه يبعد فى الكلام الفصيح أن يذكر المتكلم قصة ثم يتبعها بأخرى ثم يذكر حكما يتعلق بالقصة الأولى أثناء الحديث فى القصة الثانية بدون تصريح بذلك التعلق وقد ذكر الله قصة سؤال الرؤية ثم اتبعها بقصة عبادة العجل وفيها ذكر قصة السبعين رجلا فذلك يدل على ان السبب هو ما ذكرت الآية فى سياقه وهو عبادة بنى إسرائيل للعجل واختيار هؤلاء السبعين للاعتذار.

ثانياً : إن البداهة تقضى ببعد أن يسمع السبعون سؤال موسى للرؤية وجواب الله عليه وصعق موسى ثم يصرون على موقفهم وإن كانوا ذلك فهم أبعد خلق الله فى العناد فتكون الرجفة ملزمة لهم وغير ملزمة لغيرهم من قومهم فلقومهم ألا

---

(١) سورة البقرة آية ٥٥.

(٢) سورة الأعراف آية ١٤٣.

(٣) سورة الأعراف آية ١٥٥.

يصدقوا السبعين رجلا فى خبرهم بذلك وقد كذب السبعون ما سمعوا وشاهدوا من الصعق لموسى عليه السلام مع أن آية البقرة تفهم أن الصاعقة الآخذة للسائلين حسمت الموقف وأنهت سؤال الرؤية.

ثالثا: السبعون أخذتهم الرجفةفهم قد أهلكوا وسيدنا موسى عليه السلام فى دعائه قال (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) دعاؤه ذلك يوحى بان السبعين المهلكين ليسوا من السفهاء فعلى ربط الآيات ببعضها كيف يصفهم بأنهم ليسوا بسفهاء بل نسب هلاكهم إلى نفسه مع أنهم عاندوا كليم الله ولم يقتنعوا بصعقه.

رابعاً : نقول جعل الآيات الثلاث فى مقام واحد يوجب أحد ثلاثة احتمالات :

الأول: أن يكون الصعق حدث لموسى أولا ثم أخذت الرجفة السبعين وهذا بعيد كما قدمناه فى الأمر الثانى.

الثانى: ان تكون الرجفة أخذت السبعين ثم أخذ موسى الصعق وهذا بعيد أيضا لأنه عليه السلام على رأى المعتزلة ما سأل الرؤية إلا لهؤلاء وقد أخذتهم الرجفة نتيجة عنادهم وأما موسى فهو على قولهم يعلم الاستحالة فعلام الصعق وهو لم يسأل لنفسه شيئا يستحق عليه اللوم.

الثالث : أو ان تكون الرجفة أخذت السبعين والصعق أخذ موسى عليه السلام معا وهذا فى غاية البعد أيضا وذلك لأن الآية نصت على ان الرجفة عندما أخذت السبعين قام موسى عليه السلام يدعو لهم.

فلم يبق بعد ذلك إلا انفكاك زمن الآيات الثلاث عن بعضهم بأن نقول : آية البقرة تمثل مرحلة العناد والمكابرة وسؤال التعنت وتولت الصاعقة الرد عليهم.

وآية سؤال موسى تدل على طلب موسى للرؤية تعجلا لفضل الله تعالى ونعمته وأخذ الرجفة للسبعين تدل على الغضب الشديد من الله على من اتخذوا العجل ومن كانوا معهم أثناء عبادته.

وبعد بيان انفكاك الآيات الثلاث عن بعضهم فعلى ماذا تدل مفردات الاية ولبيان وجه الحق من الآية يجب علينا الاجابة عن الاستفسارات الآتية:-

١- هل كان سيدنا موسى عليه السلام يعلم حكم الرؤية أم يَجهله وعلى القول بجهلة فهل ذلك يخل بمنصب النبوة ام لا.

وعلى القول بعلمه عليه السلام فسؤاله هل يدل على ان عمله كان جواز الرؤية ام علمه الاستحالة فيكون سؤاله لأجل قومه؟

٢- هل جواب الله لموسى يدل على الامكان لأنه علقه على ممكن أم الاستحالة وما معنى التجلى من الله تعالى؟

٣- ما سبب خرور موسى صعقا وماسر توبته عليه السلام؟

**** أما إجابة السؤال الأول فنقول :**

ينبغى أن يكون موسى عليه السلام عالما بحكم الرؤية ولا يجهله وذلك لأنه امر يتعلق بالعقيدة ثم ثانيا يتعلق بالذات الالهية وليس متعلقا بالأمور الفرعية وإن امر العقيدة نراه واضحا وضوح الشمس فى ذهن الكليم عليه السلام منذ اللحظة الاولى من بعثته نجد ذلك جليا فى جوابه لفرعون فى أسئلته عن الله تعالى فى قوله تعالى:﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ * قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ * قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ * قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ * قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾(١).

وفى قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى * قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى * قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى﴾(٢).

إن نبيا هو من أولى العزم وأجاب مثل هذه الاجابات فى اللحظات الاولى لرسالته لا يجوز عليه ان يجهل أمر يتعلق بذات البارى سبحانه.

وقال الرازى(٣) فى معرض الرد على من قال إن موسى لم يكن عالما أن الرؤية مستحيلة على الله تعالى ذلك ضعيف ويدل عليه وجوه.

الأول : إجماع العقلاء على أن موسى عليه السلام ما كان فى العلم بالله أقل منزلة ومرتبة من اراذل المعتزلة فلما كان كلهم عالمين بامتناع الرؤية على الله

---

(١) سورة الشعراء من الآية ٢٣ : ٢٨.

(٢) سورة طه منة الآية ٤٩ : ٥٣.

(٣) تفسير الرازى ج ١٤ ص ٢٣٩.

تعالى، وفرضنا أن موسى عليه السلام لم يعرف ذلك كانت معرفته بالله أقل درجة من معرفة كل واحد من اراذل المعتزلة وذلك باطل بإجماع المسلمين.

الثانى : ان المعتزلة يدعون العلم الضرورى بأن كل ما كان مرئيا فإنه يجب ان يكون مقابلا أو فى حكم المقابل فأما ان يقال : إن موسى عليه السلام حصل له هذا العلم أو لم يحصل له هذا العلم فإن كان الاول كان تجويزه لكونه تعالى مرئيا يوجب تجويز كونه تعالى حاصلا فى الحيز والجهة وتجويز هذا المعنى على الله يوجب الكفر عند المعتزلة وان كان الثانى فنقول : لما كان العلم بأن كل مرئى يجب أن يكون مقابلا أو فى حكم المقابل علما بديهيا ضروريا ثم فرضنا أن هذا العلم ما كان حاصلا لموسى عليه السلام لزم أن يقال إن موسى عليه السلام لم يحصل فيه جميع العلوم الضرورية.

فمحصل جواب السؤال الاول : أن موسى عليه السلام كان عالما لحكم الرؤية لأنها متعلقة بالعقيدة والجهل بذلك يخل بمنصب النبوة.

وعليه فإنه عليه السلام سأل الرؤية لنفسه لأنه يعلم جوازها ويبعد أن يكون يعلم الاستحالة ثم يسألها لنفسه أو لقومه أما لنفسه فظاهر وأما لقومه فلما قدمناه من الانفكاك بين الآيات الثلاث ونزيد هذه المسألة بيانا فنقول مع إمامنا الرازى[1] ((وإما التأويل الثانى : وهو انه عليه السلام إنما سأل الرؤية لقومه لا لنفسه فهو ايضا فاسد ويدل عليه وجوه : الاول : انه لو كان الأمر كذلك لقال موسى : أرهم ينظروا اليك ولقال تعالى : لن يرونى فلما لم يكن كذلك بطل هذا التأويل والثانى : انه لو كان هذا السؤال طلبا للمحال لمنعهم عنه كما أنهم لما قالوا:﴿اجْعَل لَّنَا إِلَـهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾[2] منعهم عنه بقوله:﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[3] والثالث : انه كان يجب على موسى إقامة الدلائل القاطعة على انه تعالى لا تجوز رؤيته وان يمنع قومه بتلك الدلائل عن هذا السؤال فأما ألا يذكر شيئا من تلك الدلائل البتة مع ان ذكرها كان فرضا مضيقا كان هذا نسبة لترك الواجب إلى موسى عليه السلام وإنه لا يجوز والرابع : ان أولئك الاقوام الذين طلبوا

(١) تفسير الرازى ج ١٤ ص ٢٣٩.
(٢) الأعراف آية ١٣٨.
(٣)الأعراف آية ١٣٨.

الرؤية إما أن يكونوا قد أمنوا بنبوة موسى عليه السلام أو لم يؤمنوا بها فإن كان الاول كفاهم فى الامتناع عن ذلك السؤال الباطل مجرد قول موسى عليه السلام فلا حاجة إلى هذا السؤال الذى ذكره موسى عليه السلام وإن كان الثانى لم ينتفعوا بهذا الجواب لأنهم يقولون له لا نسلم أن الله منع من الرؤية بل هذا قول افتريته على الله تعالى فثبت أن على كلا التقديرين لا فائدة للقوم فى قول موسى عليه السلام﴿أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾.

أما عن السؤال الثانى وهو: هل جواب الله لموسى يدل على جواز الرؤية ام استحالتها خصوصا انه علقها على أمر ممكن ومعنى التجلى من الله تعالى للجبل.

أما جواب الله لموسى عليه السلام فهو يعطى إمكان الرؤية لأن الله تعالى عندما منع موسى الرؤية عند طلبه نسبها إلى موسى فقال: ﴿لَن تَرَانِي﴾ ولم ينسبها إلى ذاته تعالت وتقدست فلم يقل إنى لا أرى وهذا يفسر لنا سر تعبير سيدنا موسى عليه السلام بقوله: ﴿أَرِنِي﴾ وفرق بين طلب الرؤية وطلب الإراءة فالإراءة هى تمكين الله لموسى من الرؤية فهذا التعبير يعطى أن موسى عليه السلام يعلم عدم صلاحية الحادث على ما هو عليه لرؤية القديم إلا بتمكين خاص يجعله الله فيه فطلب موسى إنما هو لهذا التمكين من الرؤية.

وجواب الله تعالى فيه استدرك نُحِسُ منه ملاطفة موسى عليه السلام حيث علق الرؤية على امر ممكن وهو استقرار الجبل بعد تحركه.

قال الرازى [1] : الحجة الثانية : من الوجوه المستنبطة من هذه الآية الدلالة على انه تعالى جائز الرؤية وذلك لانه تعالى لو كان مستحيل الرؤية لقال : لا أرى إلا ترى انه لو كان فى يد رجل حجر فقال له إنسان : ناولنى هذا لأكله فإنه يقول له : هذا لا يؤكل ولا يقول له لا تأكل ولو كان فى يده بدل الحجر تفاحه لقال له : لا تأكلها أى هذا مما يؤكل ولكنك لا تأكله فلما قال تعالى: ﴿لَن تَرَانِي﴾ ولم يقل لا ارى علمنا ان هذا يد على انه تعالى فى ذاته جائز الرؤية.

الحجة الثالثة: من الوجوه المستنبطة من هذه الآية : انه تعالى علق رؤيته على امر جائز والمعلق على الجائز جائز الرؤية فى نفسها جائزة إنما قلنا إنه تعالى علق رؤيته

(١) تفسير الرازى ج ١٤ ص ٢١٤/٢٤٠.

على امر جائز لأنه تعالى علق رؤيته على استقرار الجبل بدليل قوله تعالى: ﴿فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ واستقرار الجبل امر جائز الوجود فى نفسه فثبت انه تعالى علق رؤيته على أمر جائز الوجود فى نفسه.

إذا ثبت هذا وجب أن تكون رؤيته جائزة الوجود فى نفسها لأنه لما كان ذلك الشرط أمرا جائز الوجود لم يلزم من فرض وقوعه محال فبتقدير حصول ذلك الشرط إما إن يترتب عليه الجزاء الذى هو حصول الرؤية أو لا يترتب فإن ترتب عليه حصول الرؤية لزم القطع بكون الرؤية جائزة الحصول وإن لم يترتب عليه حصول الرؤية قدح هذا فى صحة قوله : انه متى حصل ذلك الشرط حصلت الرؤية وذلك باطل.

فإن قيل : انه تعالى علق حصول الرؤية على استقرار الجبل حال حركته واستقرار الجبل حال حركته محال فثبت ان حصول الرؤية معلق على شرط ممتنع الحصول ، لاعلى شرط جائز الحصول فلم يلزم صحة ما قلتموه.

<u>والجواب :</u> هو ان اعتبار حال الجبل من حيث هو مغاير لاعتبار حاله من حيث انه متحرك أو سكان ألا ترى أن الشئ لو أخذته بشرط كونه موجودا كان واجب الوجودولو أخذته بشرط كونه معدوما كان واجب العدم فلو أخذته من حيث هو مع قطع النظر عن كونه موجوداً أو كونه معدوما كان ممكن الوجود فكذا ههنا الذى جعل شرطا فى اللفظ هو استقرار الجبل وهذا القدر ممكن الوجود فثبت ان القدر الذى جعل شرطا امر ممكن الوجود جائز الحصول وهذا القدر يكفى لبناء المطلوب عليه والله أعلم.

وفى روح المعانى : وأجيب عن قولهم [1]: إن المعلق عليه هو استقرار الجبل حال حركته بأنهم إن ارادوا أن الشرط هو الاستقرار حال وجود الحركة مع الحركة فهو زيادة اضمار وترك لظاهر اللفظ من غير دليل فلا يصح وإن ارادوا ان الشرط هو الاستقرار فى الحالة التى وجدت فيها الحركة بدلا من الحركة فلا يخفى جوازه فكيف يدعى انه محال لذاته؟

---

(١) روح المعانى للالوسى ج٩ ص ٧٣ط. دار الفكر.

وبعضهم قال فى الرد : إن المعلق عليه استقرار الجبل بعد النظر بدليل الفاء وحين تعلقت إرادة الله بعدم استقراره عقيب النظر إستحال استقراره وإن كان بالغير فعدل عن القول بالمحال بالذات إلى القول بالمحال بالغير[1] لأن الغرض يتم به أيضا.

هذا هو فهم الشرط عند المعتزلة وأهل السنة :-

فالمعتزلة يرون ان الله علق الرؤية على المحال وهو الجمع بين الضدين الحركة والسكون.

وأهل السنة يرونهما متعاقبين السكون بعد الحركة.

. وهناك وجه ظهر لى لم اجده فيما اعلم من كتب التفسير للآية الكريمة وهو : ان الله تعالى علق الرؤية على استقرار الجبل مكانه وعدم اندكاكه لا انه علقه على استقراره بعد سكونه أو مع سكونه فالتعليق كان على استقراره جبلا كما هو ولا يندك ويضمحل ويصير كأن لم يكن.

نلمح ذلك ونلحظه من لفظ (مكانه) فإنه لو كان المراد الشرط على السكون بعد الحركة أو معها لما كان للفظ (مكانه) مزيد فائدة أما الإتيان بلفظ (مكانه) يوحى بأن الاعتبار ببقاء الجبل جبلا مكانه.

وايضا نلحظ ذلك من عدم تصريح الاية بحركة الجبل أو سكونه وقت تعليق الله رؤيته على استقرار الجبل مما يدل على ان ذلك ليس له دحل بالشرط المعلق عليه الرؤية وإنما المذكور فى الآية الكريمة المقابلة بين اشتراط استقرار الجبل لأجل الرؤية والطرف المقابل لذلك وفهم منه عدم حدوث الرؤية هو اندكاك الجبل وتدهده وكما يقال (وبضدها تتميز الاشياء) فإندكاك الجبل يفهم منه أن الاستقرار الذى تتبنى عليه لرؤية هو بقاء الجبل مكانه وعدم زواله وهذا ما هدانى اليه الله تعالى بعد جهد المقل فإن يكن هو مراد الله فلله الفضل ومنه العون وعليه التكلان والله اعلم.

---

(١) المحال بالذات : هو المعدوم الذى لا يقبل الثبوت اصلا لذاته. أما المحال بالغير: هو الممكن وقت أن يشاء الله وجوده فيستحيل عدمه فى نفس اللحظة التى شاء الله له الوجود فيها. انظر العقيدة الإسلامية للدكتور عوض الله حجازى ص ٣٥ دار الطباعة المحمدية بالقاهرة الطبعة الثانية ، والاقتصاد فى الاعتقاد شرح وتعليق د /سامى عفيفى حجازى ص ١٠٨.

** أما عن المعنى المقصود من تجلى الله تعالى للجبل فيذكر الإمام القرطبى المعنى اللغوى للفظ فيقول[١] ((وتجلى معناه ظهر من قولك : جلوت العروس أى أبرزتها وجلوت السيف أبرزته من الصدأ جلاء فيهما وتجلى الشئ انكشف)).

والمعنى اللغوى يساعد فهم أهل السنة لآيات الرؤية حيث إن الظهور والانكشاف ممكن بالنسبة لله تعالى بدليل نسبة التجلى له تعالى وتقدس فلما ثبت تجليه للجبل قلنا بالطريق الأولى أن يتجلى للأبرار من عباده.

***وإنى لأقدر سؤالين يحق للمعتزلى أن يطرحهما فى هذا المقام أى مقام نسبه التجلى والظهور إلى الله وهما :-

أولهما : فى نسبة الإنكشاف والظهور إلى الله تعالى نسبة للتجسيم والتحيز فالانكشاف معناه إزالة الحجاب عن الله تعالى ليراه من هو وراء الحجاب وهذا محال عليه تعالى.

ثانيهما : فى ذلك نسبة العقل والرؤية للجماد والجماد لا يعقل ولا يرى.

**** والجواب :**

أما أولا : فإزالة الحجاب ليست عن الله تعالى وإنما عن عيون الرائى فالحجاب محيط بعين الحوادث لا بالله تعالى وتقدس يدل على ذلك قوله تعالى فى حق الكفار ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[٢] فلم يقل : إن ربهم عنهم لمحجوب ولكنه تعالى نسب الحجب اليهم وليس اليه فيكون معنى التجلى للجبل إزالة الحجب عن الجبل وتمكينه من رؤية نور السماوات والأرض فالحجاب محيط بأعين الكافرين لا رب العالمين.

ويدل على ذلك أيضا – ما ذكرناه من قبل – التعبير بلفظ (أرنى) فمعناه اجعلنى أراك إذن محل فعل الرؤية إنما هو فى الرائى لا فى المرئى سبحانه وتقدس.

وأما ثانيا : فإنه لا بعد فى عقل الجماد عقلا يليق به على وفق حكمته تعالى فى ذلك وكذلك رؤيته رؤية تليق به وإلا فما معنى تعليق الاندكاك على تجلى ربنا سبحانه يدل على ذلك عدة أمور منها:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج ٤ ص ٢٧١٤ط . دار الريان للتراث.

(٢) سورة المطففين آية ١٥.

١- قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَـكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[١] إذن فكل شئ يسبح ولكن نحن لا نفقه ومتى كان الجهل دليلا على عدم الوجود.

٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[٢] ووجه دلالتها ان الجماد شئ من الأشياء فإذا خاطبه الله تعالى (بكن) فلا بد انه كائن ما أراده الله منه وذلك يستلزم فهما خاصا به لمراد الله تعالى.

٣- الخطابات التى وجهها الله تعالى للجماد فى القرآن الكريم فإنها تستلزم عقلا خاصا بها ليفهم هذه الخطابات من مثل قوله تعالى﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءكِ وَيَا سَمَاء أَقْلِعِي﴾[٣] وبذلك يتبين قوة دلالة التجلى للجبل على امكان الرؤية وجوازها والله اعلم.

أما الجواب عن السؤال الثالث : الذى به يتم البحث فى دلالات ألفاظ الآية والسؤال هو ما سبب خرور موسى صعقا ، وما سر توبته عليه السلام؟

والمعنى هل صعق موسي عليه السلام كان عقوبة لذنب ولا ذنب فى الآية على ذلك إلا سؤال الرؤية وعليه فتكون التوبة من سؤال الرؤية.

والجواب :

إن الفاظ الاية لا تعطى ابدا أن الصعق كان لأجل سؤال الرؤية وإلا فإنه كان ينبغى حدوثه عقب السؤال مباشرة كما حدث لومه وإنما لاطفه الله تعالى وعلق رؤيته على الاستقرار للجبل وأما الصعق فقد حدث بمقتضى الطبيعة البشرية التى فى موسى فقد رأى جبلا يضمحل ويتلاشى فهو أمر عظيم على النفس البشرية ان تراه ومم يدل على انها صعقة طبيعية بشرية ما عبرت به الآية عن عودته لحالته الاولى فقد قال الله تعالى ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ وقال فى حق قومه (ثم بعثناكم).

وأيضا إسناد الأفعال فى حق قوم موسى إلى الله مم يدل أنها عقاب منه وفى حق موسى أسند الأفعال إليه عليه الصلاة والسلام مما يدل أنها بمقتضى الطبيعة

---

(١) سورة الإسراء آية ٤٤.

(٢) سورة النحل آية ١٦.

(٣) سورة هود آية ٤٤.

البشرية قال تعالى فى حق قوم موسى ﴿فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(١) وفى حق سيدنا موسى ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ﴾(٢).

أما توبته عليه الصلاة والسلام فليست من سؤال المحال وإنما هو بمقتضى مقام النبوة والرسالة العالى فليس ثم ذنب وإنما غاية ما يقال فيه انه طلب ما هو خلاف الاولى وارتكاب الحق مع وجود ما هو أحق منه فهو كما قول علماء التوحيد من باب ((حسنات الابرار سيئات المقربين)). والقرآن الكريم فيه من أمثله ذلك الكثير منها : ما وقع لنبينا ﷺ فقد خيره الله بين القتل أو المن أو الفداء فى الاسرى فقال: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾(٣) وبمقتضى ذلك التخيير أخذ الفداء صلى الله عليه وسلم من أسارى بدر فعاتبه الله تعالى عتابا حارا فقال : ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٤) ولو وقع مثل هذا الفعل من مَنْ هو أقل مرتبة من رسول الله ﷺ لما عوتب هذا العتاب ولكنها ضريبة المنزلة العالية والمقام الرفيع فكهذا سيدنا موسى عليه السلام فليس هناك ما هو إثم حتى يفهم من توبته ارتكابه.

قال الرازى(٥) واعلم أن أصحابنا قالوا الرؤية كانت جائزة إلا أنه عليه السلام سألها بغير الاذن وحسنات الأبرار سيئات المقربين فكانت التوبة توبة عن هذا المعنى لا عما ذكره.

* على أنى امسك عن الخوض فى تحديد الشئ الذى تاب منه موسى عليه السلام بعد القطع أنه ليس معصية ولا إثما يستحق العقوبة ولا حتى اللوم فإنا لم نُحِس لوما فى

(١) سورة البقرة آية ٥٥.
(٢) سورة الأعراف آية ١٤٣.
(٣) سورة محمد آية ٤.
(٤) سورة الانفال آية ٦٧ ، ٦٨.
(٥) الرازى ج ١٤ ص ٢٤٣.

الآية وما حدث لموسى عليه السلام بمقتضى طبيعته وذلك أسلم لأمثالنا من الاجتراء على منصب النبوة فننسب إليه ما عساه ألا يكون الواقع ونفس الأمر غير أنى فى الوقت نفسه أستبعد ما قاله بعض المفسرين(١) من انه عليه السلام تاب من سؤال الرؤية فى الدنيا مع أنها ممنوعة فهذا تفسير بعيد جدا لأنه لو كان عالما فهو سائل لما هو فى حكم المحال لإخبار الله له بعد جوازها فى الدنيا وإن كان غير عالم خل ذلك بمنصب نبوته كما قررناه سابقا.

على أنها ليست ممنوعة فى الدنيا بإجماع العلماء فبعض المفسرين على أنها وقعت فى الدنيا لنبينا ﷺ(٢) فلا ينبغى أن نفسر الآية على وجه هو محل نزاع بين العلماء.

بقى فى ختام القول عن هذه الآية ان نقول مع علمائنا بأن التعبير بلفظ (لن) لا يفيد إستحالة الرؤية.

قال إبن المنير فى الانتصاف(٣) وأما استنباط الزمخشرى من ذلك(٤) منافاة الرؤية لحال البارى عز وجل ثم إطلاق الحال على الله تعالى مما يستحرز عنه واستشهاده على ان (لن) تشعر بإستحالة المنفى عقلا مردود بكثير من الآى كقوله تعالى ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾(٥) فذلك لا يحيل خروجهم عقلا ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ﴾(٦) ﴿لَّن تَتَّبِعُونَا﴾(٧) فهذه كلها جائزات عقلا لولا أن الخبر منع من وقوعها فالرؤية كذلك فلن تفيد التأكيد لا الإستحالة العقلية.

(١) مثل الإمام النسفى ج ٢ ص ٧٦ط. احياء الكتب العلمية.
(٢) مثل الإمام القرطبى ج٩ ص ٦٢٦٢ ط. الريان وإبن كثير ج٤ ص ٢٥٢ ط. دار الحديث والرازى ج ٢٨ ص ٢٨٩ ط. دار الفكر وغيرهم من المفسرين.
(٣) الانتصاف مطبوع على ذيل الكشاف ج٢ ص ٩٠.
(٤) يعنى التعبير (بلن).
(٥) سورة التوبة آية ٨٣.
(٦) سورة هود آية ٣٦.
(٧) سورة الفتح آية ١٥.

**** الآية الخامسة :-**

قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُوْلَـئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[١]

هذه هى الاية الخامسة التى دار حولها النقاش بين أهل السنةوالمعتزلة فى بحث رؤية البارى سبحانه وتعالى وبالتحديد فإن لفظ (وزيادة) فى الآية هو مدار الخلاف فبينما يفسر المعتزلة الزيادة بالفضل والثواب يراها أهل السنة أنها الرؤية وكشف الحجب عن الأبصار ولكل وجهه هو موليها.

والآن إلى بيان وجه استدلال المعتزلة من الآية وكيفية دفع احتمال تفسير الزيادة بالرؤية قال القاضى عبد الجبار[٢] ((مسألة : وربما قيل فى قوله تعالى : ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ أليس المراد بها الرؤية على ماروى فى الخبر وجوابنا أن المراد بالزيادة التفضيل فى الثواب فتكون الزيادة من جنس المزيد عليه وهذا مروى وهو الظاهر فلا معنى لتعلقهم بذلك وكيف يصح ذلك لهم وعندهم أن الرؤية أعظم من كل ثواب فكيف تجعل زيادة على الحسنى ولذلك قال بعده : ((ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة فبين ان الزيادة هى من هذا الجنس فى الجنة)).

ويتوسع القاضى فى (متشابة القرآن) فى ذكر أوجه دفع تفسير الزيادة بالرؤية فيقول:[٣] ((وقوله تعالى من بعد :﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ ربما تعلق به من يقول بجواز الرؤية على الله تعالى ويروى فيه ما يقوى تأويله وليس للآية ظاهر لأنه لم يذكر ما تلك الزيادة فمن أين أن المراد بها ما قالوه؟

ولو قيل : ان ظاهره يدل على ان المراد بها من جنس الحسنى المتقدم ذكره الذى هو النعيم لكان اقرب لأن اطلاق هذه الكلمة بعد تقدم ذكر بعض الأمور يقتضى أن الزيادة من ذلك الباب بالتعارف إلا أن يمنع منه دليل.

ولو كان المراد به الرؤية على مذهبهم لكانت الزيادة أعظم من الحسنى ويوجب ان يكون تعالى يلتذ بالنظر اليه ويشتهى فيكون ذلك من جملة النعيم واللذات وهذا خروج

---

(١) سورة يونس آية ٢٦.

(٢) تنزيه القرآن ص ١٧٧.

(٣) متشابه القرآن ج١ ص ٣٦١.

من الدين وإن كان القول بأنه جسم يقتضية لأنه إذا صح فيه ذلك لم يمتنع ان يشتهى النظر اليه بل لمسه ومعانقته تعالى الله عن ذلك)).

والزمخشرى يروى الاثار بأن الزيادة هى من جنس الحسنى فيقول[١] (الحسنى) المثوبة الحسنى (وزيادة) وما يزيد على المثوبة وهى التفضل ويدل عليه قوله تعالى:﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ﴾[٢] وعن على رضى الله عنه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن إبن عباس رضى الله عنه الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة:[٣] الزيادة : أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ما تريدون أن امطركم فلا يريدون شيئا إلا أمطرتهم[٤] وزعمت المشبهة والمجبرة[٥] أن الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى وجاءت بحديث مرقوع[٦] إذا دخل أهل النة الجنة نودوا أن يا أهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم منه.

وتتلخص أدلة مفسرى المعتزلة فى الأوجه الآتية :-

---

(١) الكشاف ج ٢ ص ١٨٨.

(٢) سورة النساء آية ١٧٣ .

(٣) مجاهد : هو مجاهد بن جبر المكى ابوالحجاج المخزمى المقرئ مولى السائب بن أبى السائب قال مجاهد قرآت القرآن على ابن عباس ثلاث عرضات أقف عند كل آية اسأله فيما نزلت وكيف نزلت؟ قال إبن حبان كان فقيها ورعا عابدا متقنا. تهذيب التهذيب ج ١٠ ص٣٧. ويزيد بن شجرة هو : ابو شجرة يزيد بن شجرة الرهاوى يقال له صحبة وكان امير الجيش فى غزو الروم ارسل عن النبى ﷺ واستشهد سنة ٥٨ السير ج ٩ ص ١٠٦ وطبقات إبن سعد ٤٦٦/٧.

(٤) هذه الاثار كلها رواها الطبرى بسنده فى التفسير ج ١١ ص ٧٥ ، ٧٦ ط. دار الجبل بيروت.

(٥) سبق تعريف الجبرية أما المشبهة فهم الذين وقعوا فى التشبيه المحض والتجسيم الصريح وقالوا إن لله يداً ويجوز عليه الملامسة انظر الملل والنحل ج١ ص ١٠٥ ويقصد الزمخشرى أهل السنة بهذا الوصف سامحه الله تعالى.

(٦) هذا الحديث الذى يصفه الإمام بهذا الوصف صحيح رواه الإمام مسلم واحمد فى مسنده وقال محققه حمزه الزين اسناده صحيح وهو رقم ١٨٨٣٧ ج١٤ ص ٣٢٤ فعجبا له يأخذ بآثار عن الصحابة والتابعين قد صح عنهم القول بضدها ويترك الحديث المرفوع إلى البنى ﷺ وهو صحيح الإسناد ونحن نقول ليس مرقوعاً ولكنه مرفوع إلى النبى ﷺ وهو بذلك مرفوع فوق جباهنا نسلم له قيادنا.

١- إن الظاهر من لفظ الآية أن الزيادة من جنس المزيد عليه والرؤية ليست من جنس الجنة.

٢- ان الرؤية اعظم من كل ثواب فكيف تجعل زيادة على الحسنى واستدل القاضى ببقية الآية على ذلك وهو [ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة].

٣- الزيادة فى الآية مطلقة فمن اين أن المراد بها ما قالوه.

٤- القول بالرؤية يوجب ان يكون تعالى يلتذ به الناظر ويشتهيه وذلك من صفات الأجسام.

** أما الإمام الزمخشرى فروى اثارا كلها موقوفة على الصحابة أو مقطوعة من اقوال التابعين تدل على ان الزيادة هى من جنس الحسنى ثم حكم بالوضع والاختلاف على الحديث المصرح برؤية البارى سبحانه وتعالى.

مناقشة اوجه دلالات مفسرى المعتزلة :-

أما أولا فمن قال : عن الزيادة ليست من جنس الجنة. وهل الجنة مقصودة لذاتها ام لما يقع فيها من النعيم فإن بساتين ومعها منغصات تفقد الإنسان لذة العيش وذلك سر نفى النصب عن أهل الجنة﴿ **لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ**﴾ (١) إذا فالحسنى التى هى الجنة المقصود منها النعيم وقرار العين فإذا علمنا ذلك تبين أن الرؤية أعلى أجناس النعيم على الإطلاق فتكون من جنس الجنة.

وإن سلمنا أن الرؤية ليست من جنس الجنة فى ظاهرها كما قال القاضى فنقول وهل الظاهر ملزم لنا أن نأخذ به قد تأتى القرائن وتصرف اللفظ عن ظاهره كأن يأتى خبر صحيح فيصرف هذا اللفظ عن ظاهره ويفسر بالمعنى المرجوح كما حدث فى تفسير الظلم فى قوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ**﴾(٢) قال الصحابة وأينا لم يظلم نفسه فسرو اللفظ بظاهره فقال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم ((ليس كذلك وإنما هو الشرك)) وتلا عليهم قول الله تعالى على لسان لقمان﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾(٣) .

(١) سورة فاطر آية ٣٥.

(٢) سورة الأنعام آية ٨٢.

(٣) سورة لقمان آية ١٣ والحديث فتح البارى ج ٨ ص ١٤٤.

فنقول ان الظاهر انه من جنس الجنة ولكن الله تعالى بين على لسان رسوله ﷺ فى الخبر الصحيح الصريح إن الزيادة هى الرؤية فتكون صارفة للفظ عن ظاهره هذا إن سلمنا أن الرؤية ليست من جنس الجنة أى ليست من جنس نعيم الجنة.

وأما ثانيا : فنعم الرؤية أعظم من كل ثواب ولكن سؤال القاضى عبد الجبار فكيف تجعل زيادة على الحسنى.

وأقول وصف الآية بأنها (زيادة) من باب أنها فضل كلها من الله تعالى فكأن الكريم سبحانه وصف الجنة بأنها فى مقابلة إحسان المحسنين والرؤية ليس لها عمل يقابلها فهى زيادة من هذا الوجه ولا يشترط فى الزيادة أن تكون أقل من الجزء الأصلى فهذا فى حقنا أما فى حق الله تعالى فظاهر الآية يضيف الحسنى إلى احسان المحسنين والزيادة إلى فضل الكريم سبحانه وبذلك يأتى الفرق الكبير بين الحسنى والزيادة.

أما لحاق لفظ وزيادة فهو يشهد لذلك التفسير كما قرره إبن المنير(١) ((وإن فى قوله تعالى على اثر ذلك (ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة) مصداقا لصحة هذا التفسير فإن فيه تنبيها على إكرام وجوههم بالنظر إلى وجه الله تعالى فجدير بهم أن لا يرهق وجوههم قتر البعد ولا ذلة الحجاب عكس المحرومين المحجوبين فإن وجوههم مرهقة بقتر الطرد وذلة البعد نسأل الله الكفاية فأولئك يغشى وجوههم أنوار المشاهدة وهؤلاء يغشى وجوههم كقطع الليل المظلم منهم شقى وسعيد)).

أما الوجه الثالث القائل : الزيادة فى الآية مطلقة فمن أين أن المراد بها ما قالوه فهذا قول فى غاية الغرابة وتشتد الغرابة من صدوره من مثل القاضى عبد الجبار فكل من له نصيب من العلم وان قل يعلم ان اطلاق القرآن قد يقوم بتقييده إما قرآن أو سنة صحيحة وقد قيد هذا الإطلاق القرآن فى مثل قوله تعالى: **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** (٢) والسنة الصحيحة الصريحة فى مثل قوله ﷺ فيما اخرجه احمد ومسلم والترمذى وإبن ماجه وغيرهم عن صهيب أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: ﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ**﴾ قال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى

(١) الانتصاف ج٢ ص ١٨٨.

(٢) سورة القيامة من الآية ٢٢:٢٣.

مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه فيقولون : وما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار قال فيكشف لهم الحجاب فينظرون اليه فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم من النظر إليه وأقر لعينهم)) [١].فهذا الاثر وغيره صالح لتقييد هذا الإطلاق.

أما الوجه الرابع الذى يوجب القاضى فيه استلزام الرؤية للذة والشهوة والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك فأقول وهذا كمثل سابقه فى غاية الغرابة فإنه بمقتضى هذا الاستلزام وجب أن تكون الشهوة ملازمة للنظر فلا يقطع نظر إلا بشهوة وإلا لو كان هناك نظر بدون شهوة لا حتمله النظر إلى الله تعالى وهذا لا قائل به أبدا من الناس فالناس – ولله المثل الاعلى – ينظرون على السماء وإلى القمر ويتلذون بمنظر كل منهما ولا قائل بالشهوة فى ذلك.

وبالجملة فهذه نظرة مادية إلى لفظ (لذة النظر إلى وجه الله تعالى) وكل من له أدنى ممارسة فى العبادة يعلم ان اللذة الروحية لا تعدلها أى لذة وهى لذة القرب من الله بالغيب فما بالنا بالقرب مع المشاهدة جعلنا الله من جملة الناظرين إلى وجهه الكريم.

واستدل الزمخشرى على تفسير الزيادة بغير الرؤية بأثار غاية جهدها انها موقوفات أو مقطوعات وفى مقابلتها من المرفوعات الصحاح مالا تقوى على القيام فى وجهه وعلى الفرض البعيد – جدلا – إن حكم لها بالرفع والصحة فما المرجح لأخذ أحدهما وترك الاخر مالم تتعارض لا يوجد مبرر يجعلنا نطرح أحد التفسيرين على حساب الاخر إلا إذا تعارضا ولا تعارض بل التفسير يحتمل الوجهين.

قال إبن جرير الطبرى[٢] واولى الاقوال فى ذلك بالصواب ان يقال : إن الله تعالى وعد المحسنين من عباده على احسانهم الحسنى ان يجزيهم على طاعتهم اياه الجنة وان تبيض وجوههم ووعدهم مع الحسنى الزيادة عليها ومن الزيادة على ادخالهم الجنة ان يكرمهم بالنظر اليه وان يعطيهم غرفا من لألئ وان يزيدهم غرفاً ورضوانا كل ذلك من زيادات عطاء الله اياهم على الحسنى التى جعلها الله لأهل جناته وعم ربنا

(١) صحيح مسلم ١٦٣/١ والترمذى : ٢٥٥٢ وغبن ماجه : ١٨٧ وانظر فتح القدير ج٢ ص ٦١٧ ط . دار الحدث.

(٢) جامع البيان ج ١١ ص ٧٦.

جل ثناؤه بقوله (وزيادة) الزيادات على الحسنى فلم يخصص منها شيئا دون شئ وغير مستنكر من فضل الله ان يجمع ذلك لهم بل ذلك كله مجموع لهم ان شاء الله فأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يعم كما عمه عز ذكره.

**** الآية السادسة :-**

قوله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾[١]

فقد وصف الله تعالى الطالبين لرؤية الله تعالى بالعتو الكبير والإستكبار وهذه أوصاف يليق بها من طلب امرا عظيما وبلغة المعتزلة امرا مستحيلا.

قال القاضى فى التنزيه [٢] وقوله تعالى:﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ أحد ما يدل على انه تعالى لا يجوز ان يرى وإلا لم يصح ان يستعظم هذا القول منهم كما لا يجوز ان ينزل الملائكة بدلا من البشر لكن انزال الملائكة مقدور والحكمة تمنع منه والرؤية ليست مما يصح اصلا.

ويقول فى متشابه القرآن [٣] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءنَا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ يدل على نفى الرؤية لأنه تعالى عظم هذا القول من قائله ولو كانت الرؤية جائزة لم يجب ذلك فيه.

والإمام الزمخشرى يصف كفار مكة بأنهم كقوم موسى فى طلب رؤية الله جهرةوقد علمنا من قبل قوله فى طلب قوم موسى الرؤية ورددنا عليه وهو هنا يقول [٤] اقترحوا من الآيات ان ينزل الله عليهم الملائكة فتخبرهم بأن محمدا صادق حتى يصدقوه أو يروا الله جهرة فيأمرهم بتصديقه وإتباعه ولا يخلوا إما ان يكونوا عالمين بأن الله لا يرسل الملائكة إلى غير الأنبياء وان الله لايصح ان يرى وإنما علقوا ايمانهم بما لا يكون وإما ان لا يكونوا عالمين بذلك وإنما أرادوا التعنت باقتراح آيات سوى الآيات

(١) سورة الفرقان آية ٢١.

(٢) تنزيه القرآن ص٢٩٠.

(٣) متشابه القرآن ص ٢٩.

(٤) الكشاف ج٣ص٩٣.

التى نزلت وقامت بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى حين قالوا : ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾[١]

** مناقشة وجه استدلال المعتزلة:-

وغاية ما يستدل به المعتزلة فى هذه الآية أسلوب الاستنكار والتعظيم الذى صيغت به حكاية مطالبهم والوصف الذى وصفه الله به الاستكبار والعتو عتوا كبيرا.

ولكن هل هذا هو الاحتمال الوحيد الذى تحتمله الاية أم أن احتمالا آخر؟ بل هناك احتمال آخر والنظر الصحيح فى الآية وفى سياقها يجعلنا نرشح الثانى أكثر من الأول وهو أن الأسلوب الذى صيغت به الآية والوصف الكبير هذا إنما لأن سؤالهم على سبيل التعنت والمكابرة لا الاسترشاد وسؤال ما يدل على الايمان نجد هذا المعنى عند الامام القرطبى حيث يذكر للآية نظيرا فى المكابرة ثم يعرض عن التعرض لسؤال الرؤية وكأنى به يجعل سؤالهم تجسيما وتحيزاً فلا يرى للمعتزلة فى الاية استدلالا ولا يكلف نفسه عناد الرد فالقوم مشركون وسؤالهم سؤال تعنت وان قصدوه فهم يقصدون المعنى المحال وهو الرؤية بالكيف والجهة.

يقول الإمام القرطبى[٢] (أو نرى ربنا) عيانا فيخبرنا برسالته نظيره قوله تعالى ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاء كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ قَبِيلاً﴾ قال تعالى :﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ حيث سألوا الله الشطط لأن الملائكة لا ترى إلا عند الموت أو عند نزول العذاب والله تعالى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار فلا عين تراه. والقرطبى نفسه فى تفسيره لآية الأنعام ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ﴾[٣] يثبت الرؤية بلا كيف ولا جهة ولكن كلامه هنا على أنهم سألوا الرؤية المكيفة والتى تستلزم الجهة قال الإمام القرطبى[٤] لا

(١) سورة البقرة آية ٥٥.
(٢) تفسير القرطبى ج٧ ص ٤٧٣٥ / ٤٧٣٦ ط. الريان.
(٣) سورة الأنعام آية ١٠٣.
(٤) تفسير القرطبى ج٢٤ ص ٢٤٩٠ ط. الريان.

تدركه الأبصار بين سبحانه أنه منزه عن سمات الحدوث ومنها الإدراك بمعنى الاحاطة والتحديد كما تدرك سائر المخلوقات والرؤية ثابته.

إذن شدة لهجة الآية إنما لأنهم سألوا إدراك البارى سبحانه.

أما الإمام الرازى فيرى ان الآية دليل على جواز الرؤية وامكانها إذ يقول[١]

المسألة الثانية : قالت المعتزلة الآية دلت على ان الله تعالى لا تجوز رؤيته لو كانت جائزة لما كان سؤالها عتوا واستكبار قالوا وقوله: ﴿لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ ليس إلا لأجل سؤال الرؤية حتى لو أنهم اقتصروا على نزول الملائكة لما خوطبوا بذلك والدليل عليه ان الله تعالى ذكر أمر الرؤية فى آية أخرى على حده وذكر الاستعظام وهو قوله : ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ [٢] وذكر نزول الملائكة على حده فى آية أخرى فلم يذكر الاستعظام وهو قولهم : ﴿لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾ وهل نرى الملائكة فثبت بهذا أن الاستكبار والعتو فى هذه الآية إنما حصل لأجل سؤال الرؤية.

واعلم أن الكلام على ذلك قد تقدم فى سورة البقرة والذى نريده ههنا انا بينا أن قوله:﴿ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءنَا﴾ يدل على الرؤية وأما الاستكبار والعتو فلا يمكن ان يدل ذلك على ان الرؤية مستحيلة لأن من طلب شئيا محالا لا يقال انه عتا واستكبر ألا ترى انهم لما قالوا : اجعل لنا إلها كما لهم الهة لم يثبت لهم بطلب هذا المحال عتوا واستكبار بل قال: ﴿إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [٣] بل العتو والاستكبار لا يثبت إلا إذا طلب الإنسان مالا يليق به ممن فوقه أو كان لائقا به ولكنه يطلبه على سبيل التعنت وبالجملة فقد ذكرنا وجوها كثيرة فى تحقيق معنى الاستكبار والعتو سواء كانت الرؤية ممتنعة أو ممكنة ومما يدل عليه ان موسى لما سأل الرؤية ما وصفه الله تعالى بالاستكبار والعتو لأنه عليه السلام طلب الرؤية شوقا وهؤلاء طلبوها إمتحانا وتعنتا لاجرم وصفهم بذلك فثبت فساد ما قاله المعتزلة.

(١) تفسير الرازى ج٢٤ ص ٧٠/٧١.
(٢) سورة البقرة آية ٥٥.
(٣) سورة الأعراف آية ١٣٨.

**** الموضع السابع:**

آيتا القيامة : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (١)

وهاتان الآيتان واضحتا الدلالة على وقوع الرؤية يوم القيامة ولكن ائمة المعتزلة يؤولون النظر بالانتظار فالوجوه تنتظر فضل ربها سبحانه وتعالى أو يقدرون محذوفا كما فى ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ .

يقول القاضى عبد الجبار فى التنزيه(٢) مسألة : وربما قيل فى قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة انه اقوى دليل على ان الله تعالى يرى فى الاخرة؟

وجوابنا: ان من تعلق بذلك ان كان ممن يقول بأنه الله تعالى جسم فاننا لا ننازعه فى انه يرى بل فى انه يصافح ويعانق ويلمس تعالى الله عن ذلك وإنما نكلمه فى انه ليس بجسم وان كان ممن ينفى التشبيه عن الله فلابد من ان يعرف بأن النظر إلى الله تعالى لا يصح لأن النظر هو تقليب العين الصحيحة نحو الشئ طلبا لرؤيته وذلك لا يصح إلا فى الأجسام فيجب ان يتأول على ما يصح النظر اليه وهو الثواب كقوله ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾(٣) فإنا تأولناه على أهل القرية لصحة المسألة منهم وبين ذلك ان الله ذكر ذلك ترغيبا فى الثواب كما ذكر قوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ زاجرا عن العقاب فيجب حمله على ما ذكرناه.

ويقول فى متشابه القرآن(٤) وقوله تعالى وجوه يومئذ ناظرة إلى ربها والنظر غير الرؤية لانه إذا تعلق بالعين فالمراد طلب الرؤية كما إذا علق بالقلب فالمراد طلب المعرفة ولذلك يقول القائل نظرت إلى الشئ فلم اره ونظرت إليه حتى رايته فلذلك نعلم باضطرار إن الناظر ناظر ولا نعلم رائيا إلا بخبره ولذلك أضافت العرب النظر فجعلت منه نظر الراضى والغضبان... إلى غير ذلك ولم تضف الرؤية على هذا الحد وإذا كان النظر غير الرؤية – لما ذكرناه – فكيف يدل الظاهر على انهم يرون الله؟

---

(١) سورة القيامة من الآية ٢٢:٢٣.

(٢) تنزيه القرآن عن المطاعن : ٤٤٢.

(٣) سورة يوسف آية ٨٢.

(٤) متشابه القرآن ص ٦٧٣.

ومتى قالوا : إذا ثبت بالظاهر أنه إليه وجب أن يكون مما يصح رؤيته قلنا هذا يؤدى إلى أن يكون جسما فى جهة مخصوصة لأن النظر هو تقليب الحدقة نحو الشئ التماسا لرؤيته وهذا لا يصح إلا والمطلوب رؤيته فى جهة مخصوصة وذلك يوجب انه جسم تعالى الله عن ذلك ولهذا قلنا : إنه تعالى لما خلق النظر بنفسه وعلمنا ان ذلك لا يصح فيه وجب أن يكون المراد به الثواب لأن الحكم الذى يقتضيه الاسم إذا لم يصح فيما علق به وجب أن يكون المراد غيره كقوله تعالى:﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ إلى غير ذلك من وجوه المجاز.

والثانى : انه تعالى وصف الوجوه بأنها ناظرة وقد علمنا أن هذه اللفظة تفيد الجملة لأن الناظر هو الإنسان دون بعضه كما أنه العالم والقادر والفاعل فإذا صح وكان الإنسان يوصف بأنه ناظر على وجه فيراد به الانتظار وقد يراد به تقليب الحدقة للرؤية وقد يراد به التفكير بالقلب طلبا للمعرفة فليس فى الظاهر – إذن – دلالة على ما قاله القوم وهو محتمل له ولغيره.

والثالث انه تعالى اراد بذكر الوجوه جملة الإنسان لا البعض المخصوص ولذلك وصف الوجوه بأنها ناظرة وذلك يليق بها دون الابعاض ولذلك قال من بعد : ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ (١) فوصفها بالظن الذى لا يليق بالوجه فالمراد به الرؤية لا يصح لأن تعليق النظر بالوجه غير معروف فى اللغة والذى يعرف تعليقه بالعين هو الرؤية فأما تعليقه بالوجه غير معروف فى اللغة والذى يعرف تعليقه بالعين فأما تعليقه بالوجه فهو كتعليقه بالرأس فى أنه غير معروف اصلا لان هذا القول إنما يتم لو كان المراد بالوجه العضو المخصوص وقد بينا ان الأمر بخلافه ففارق ذلك ما استدللنا به من قوله تعالى ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ (٢) فى نفى الرؤية لأن الإدراك المطلق متى قرن بالبصر لا يعرف فى اللغة ان يراد به إلا الرؤية بالبصر وهذا بين.

---

(١) سورة القيامة آية ٢٤ ، ٢٥.

(٢) سورة الأنعام آية ١٠٣.

واما الزمخشرى فيجعل المرئيين للمؤمنين كثيرين وذلك يجعل اختصاص النظر بالله المستفاد من تقديم شبه الجملة محال وعليه فيجب التأويل فيقول[١] ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره وهذا معنى تقديم المفعول ألا ترى على قوله: ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾[٢] ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾[٣] ﴿إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾[٤] ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾[٥] ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٦] ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[٧] كيف دل فيها التقدم على معنى الاختصاص معلوم أنهم ينظرون إلى اشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العد فى محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم فإن المؤمنين نظارة ذلك اليوم لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولاهم يحزنون فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان منظور اليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص والذى يصح معه أن يكون من قول الناس أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بى تريد معنى التوقع والرجاء وذلك كما قال القائل: **وإذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتنى نعما.**

وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس أبوابهم ويأوون إلى مقائلهم تقول : عيينتى نويظرة إلى الله واليكم والمعنى أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم كما كانوا فى الدنيا لا يخشون ولا يرجعون إلا اياه.

**** مناقشة أوجه استدلال المعتزلة:-**

يربط القاضىفى تنزية القرآن – كما سبق نقل كلامه – بين القول بجواز فهم الرؤية من الآية وبين القول بأنه تعالى وتنزه جسم وإذا اعترفنا بأنه ليس بجسم وجب القول بإستحالة الرؤية وذلك لأن النظر عنده هو تقليب العيب نحو الشئ طلبا لرؤيته وذلك لا يصح وعليه فيجب التأويل كما فى : ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾.

---

(١) الكشاف : ج٤ ص ١٦٥.
(٢) سورة القيامة آية ١٢.
(٣) سورة القيامة آية ٣٠.
(٤) سورة الشورى آية ٥٣.
(٥) سورة النور آية ٤٢.
(٦) سورة البقرة آية ٢٤٥.
(٧) سورة الشورى آية ١٠.

ونحن نقول هذه مغالاه فى فهم الآية وحمل للآية على غير ظاهرها من غير موجب لذلك وماساقه القاضى كدليل هو قياس فاسد لأنه قياس مع الفارق بين المرئى فى الدنيا وما سنراه يوم القيامة وكذلك الفارق فى الموطنين فقوانين الآخرة غير قوانين الدنيا.

ونحن نقول : حاشا لله ان يكون جسما أو فى جهة ومع ذلك نقول برؤيته تعالى على الكيفية التى يعلمها الله تعالى وتليق بجلاله ونقول بأن عيوننا هذه التى تجعل المرئى فى جهة وتتقلب نحو الشئ لتراه سوف يحدث الله فيها قوانينا اخرى تصلح ليوم القيامة وإذا نزهنا الله تعالى عن لوازم الجسمية تعلق امر الرؤية بالقدرة الإلهية فى تعديل قوانين رؤيانا نحن ولا تعذر على قدرة الله تعالى والقاضى يستشهد لصحة تأويله بسياق الاية فيقول وبين ذلك ان الله ذكر ذلك ترغيبا فى الثواب كما ذكر قوله:﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ زجرا عن العقاب فيجب حمله على ما ذكرناه سلمنا للقاضى بان سياق الآية للترغيب فى الثواب فى الانتظار للثواب كما أول به القاضى المحذوف والوجوه الثانية تتوقع فهى منتظرة فهذه منتظرة وتلك منتظرة والانتظار كما هو معلوم عن يوم القيامة نفسه عذاب فلم يحصل كبير فرق بين الفريقين فالإمام الزمخشرى نفسه هو الذى فسر النظر فى الآية بالتوقع[١] والحقيق بالاية وسياقها أن يفسر نظر الوجوه الأولى بنعيم حقيقى لا بإنتظار نعيم لا كالوجوه الثانية التى تنتظر ما يحصل لها ولا نعيم أكبر من النظر إلى وجه الكبير المتعال سبحانه ولذلك اقتصرت الآية عليه لأنه دليل على حصول ما تحته من النعيم.

وفى متشابه القرآن – كما سبق نقله – يذكر القاضى ثلاثة وجوه تدل على أن ظاهر الآية لا يدل على الرؤية :-

أما أولهم: التفرقة بين النظر والرؤية فالنظر عنده أعم من الرؤية فإنه إذا تعلق بالعين فالمراد طلب الرؤية كما إذا علق بالقلب فالمراد طلب المعرفة ولذلك يقول القائل نظرت إلى الشئ فلم أره ونظرت إليه حتى رأيته فلذلك نعلم بإضطرار أن الناظر ناظر ولا نعلمه رائيا إلا بخبره.

---

(١) الكشاف ج ٤ ص ١٦٥.

** وأقول للرد على هذا الوجه : أما التفرقة المذكورة فمسلمة ولكن لا يترتب عليها هذه النتيجة بل المترتب عليها نتيجة نقيض ما قاله القاضى فإن إطلاق النظر يدل على الرؤية وإثبات نظر بدون رؤية هو الذى يحتاج إلى نص فى العبارة والقرآن الكريم استخدام النظر المطلق فى الرؤية فإذا أراد إثبات نظر بدون رؤية نص على ذلك ، من ذلك قوله تعالى فى إطلاق النظر على الرؤية ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾(١) ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾(٢) ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾(٣) ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾(٤)

فالقرآن يطلق النظر على الرؤية والبداهة تقضى دلالته عليها ولذلك عندما أراد إثبات النظر ونفى الرؤية نص على ذلك فقال ﴿وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾(٥) لأن النظر لم يثمر النتيجة فالرؤية كأنها غير موجودة.

** أما الرد على الوجه الثانى فأقول : ليس كل وجه مذكور فيراد به الكل والجملة فقوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾(٦) فهى لم تضرب جميع بدنها وقوله تعالى:﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ﴾(٧) فالوجوه فى هذه الآية المراد منها العضو المعروف لا جملة الإنسان وإلا لم يكن فائدة فى ذكر الظهور بعد ذكر الوجوه الدالة على الجملة وإن سلمنا أن الوجوه فى آية القيامة تدل على الجملة ولكنه تعالى ذكر الجميع واراد موضع النظر منه ففى قوله تعالى:﴿قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا﴾ (٨) فهل المراد الأمر بتحويل جميع البدن إلى عيون أم المراد النظر بموضع النظر من الإنسان.

---

(١) سورة الصافات آية ٨٨.
(٢) سورة محمد آية ٢٠.
(٣) سورة المطففين آية ٢٣.
(٤) سورة التوبة آية ١٢٧.
(٥) سورة الأعراف آية ١٩٨.
(٦) سورة الذاريات آية ٢٩.
(٧) سورة الأنبياء آية ٣٩.
(٨) سورة الأنعام آية ١١.

** ثم فى الوجه الثالث : يصوغ القاضى نفس الكلام السابق فى ثواب جديد فيقول : إن المراد من الوجه الجملة لا العضو المخصوص بدليل انه وصفها بانها ناظرة وهو وصف يليق بالكل لا بالبعض والوجوه المقابلة بالظن والظن لا يليق بالوجه ويقول فإذا صح ذلك وجب كون الكلام مجملا لأن الجملة إذا وصفت بأنها ناظرة لم يفهم أن المراد بها الرؤية.

وهنا أقول إن القاضى يبنى كلامه كله فى تفسيره للآية على احتمال جعل الوجه مجاز عن جميع البدن وجعل المجاز هو الحقيقة مع ان القول بالمجاز لم يسلم له كما بينا فى الرد على الوجه السابق.

ثم من قال – كما قال القاضى – بأن وصف الوجوه بالنظر يدل على جملة البدن ومن قال إن وصف الوجوه بالظن لا يليق بالوجه كيف والتعبير كله محله الوجه ومنه يستدل على ما فى النفس وهل رؤية البدن كله مع تغطية الوجه تفهم شيئا. وأما وجه استدلال الزمخشرى فقد تكفل أكثر مفسرى أهل السنة بالرد عليه على عكس القاضى عبد الجبار وقد استدل جار الله بتقديم لفظ الجلاله (الله) مسبوقا بحرف الجر على الاختصاص والاختصاص يقضى ألا ينظر المؤمنون إلى غيره تعالى مع أنه معلوم – على حد تعبيره – أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها حصر وعليه فيجب التأويل ليصح الاختصاص فيفسر النظر فى الآية بالتوقع والرجاء.

وابن المنير فى الإنتصاف يلهب ظهر الزمخشرى بسياط لسانه ويجعل النظر إلى الله تعالى شاغلا عما سواه فيقول:(١) قال احمد ما أقصر لسانه عند هذه الآية فكم له يدندن(٢) ويطيل فى حجر الرؤية ويشقق القباء ويكثر ويتعمق فلما فغرت فاه(٣) هذه الاية صنع فى مصادمتها بالاستدلال على أنه لو كان المراد الرؤية لما انحصرت بتقديم المفعول لأنها حينئذ غير منحصرة على تقدير رؤية الله تعالى وما يعلم أن المتمتع برؤية جمال وجه الله تعالى لا يصرف عنه طرفه ولا يؤثر عليه غيره ولا يعدل به عز وجل

---

(١) الانتصاف ج ٤ ص ١٦٥ على ذيل الكشاف.
(٢) يدندن : الدندنة أن يتكلم الرجل بالكلام السريع تسمع نغمته ولا يفهم النهاية ١٢٧/٢.
(٣) ففرت فاه أى فتحت فاه النهاية ٤١٣/٣ واللسان ٢٩٤/١٠.

إذا أخطاه النظر إلى وجهه الكريم نسأل الله العظيم ألا يصرف عنا وجهه وأن يعيذنا من مزالق البدعة ومزلات الشبهة وهو حسبنا ونعم الوكيل آمين.

وابو السعود[١] يفسر الاختصاص المستفاد من التقديم إما على الاستغراق والغفلة عمن سواه سبحانه وإما بتعدد المواطن يوم القيامة فيقول[٢] وعندى كونها ناظرة إلى ربها أنها تراه تعالى مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى بلا كيف و لاجهة وليس هذا فى جميع الأحوال حتى ينافيه نظرها إلى غيره وقيل منتظره انعامه ورد بأن الانتظار لا يسند إلى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وأن المستعمل بمعناه لا يعدى بإلى.

وبألفاظ قريبة من أبى السعود فسر الإمام البيضاوى إذ يقول[٣] ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ تراه مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه ولذلك قدم المفعول وليس هذا فى كل الاحوال حتى ينافيه نظرها إلى غيره وقيل منتظرة إنعامه ورد بأن الإنتظار لا يسند إلى الوجه وتفسيره بالجملة خلاف الظاهر وان المستعمل بمعناه لا يعدى بإلى وقول الشاعر :

وإذا نظرت اليك من ملك والبحر دونك زدتنى نعما

بمعنى السؤال فإن الإنتظار لا يستعقب العطاء وفى حاشيته على البيضاوى قال الشهاب[٤] وقوله (وليس هذا) رد على الزمخشرى حيث ادعى نصرة لمذهبه فى إنكار الرؤية انه لو كان النظر بمعناه المعروف لم يصح الحصر لأن قصر النظر غير واقع كما لا يخفى على من له نظر بأنه فى وقت ما لافى جميع الأوقات لانه لا يراه دائما مع انه قد يجعل رؤية ما سواه عدما أو يقال: التقديم لرعاية الفاصلة لا للحصر

---

(١) ابو السعود هو محمد بن مصطفى العمادى الحنفى المولود سنة ٩٨٣هـ بقرية قريبة من القسطنطينية تولى الافتاء سنة ٩٥٢ ولقد حاز قصب السبق بين اقرانه ولم يقدر أحد ان يجاريه فى ميدانه وتفسيره يسمى (ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) توفى سنة ٩٨٢ وفيات الاعيان ج٢ص ٢٨٢ – ٣٠٥. التفسير والمفسرون ج١ ص ٣٥٣.

(٢) تفسير أبى السعود ج٩ ص ٦٧ط. دار احياء التراث العربى.

(٣) الشهاب على البيضاوى ج٨ ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ ط . دار صادر بيروت.

(٤) المرجع السابق.

هنا أو للاهتمام لأنه المقصود بالإفادة إذ أصل النظر معلوم غنى عن البيان وقوله وقيل منتظره إنعامه هو ما ارتضاه الزمخشرى لتأييد مذهبه فى إنكار الرؤية لأن النظر يكون بمعنى الانتظار وقوله [على الوجه] لأنه يقال وجه زيد منتظر وإرادة الذات يأباها قوله ناظرة لأن المتبادر وصف وجوه الحقيقة به وقوله لا يتعدى بإلى يعنى بل بنفسه وما قاله الشريف المرتضى فى الدرر[١] من أن إلى هنا اسم بمعنى النعمة واحد الآلاء بعيد جدا وأورد عليه أن الزمخشرى لم يقل هنا النظر بمعنى الانتظار حتى يرد ما ذكر إنما قال أنه نظر العين للوجه وهو كناية عن توقع الاحسان ورجائه فالصواب أن الإنتظار والتوقع لا يلائم المقام والمناسب للمدح لهؤلاء ذكر ما افاض عليهم من الانعام وما اجيب به من انه ليس ردا على الزمخشرى بل علىٰ غيره من مشايخ العدلية الذاهبين إلى انه هنا بمعنى الانتظار كما نقل فى الكتب الكلامية خلاف ما يقتضيه سياق كلامه فإنه بعينه ما فى الكشاف والقول بأنه ذهاب إلى الكناية وترك الحقيقة من غير داع لأوجه لأنه أى داع اقوى من كون الرؤية غير واقعة عنده وإبطال المذهب أمر آخر.

وخلاصة رد وجه استدلال الزمخشرى من الآية أن الآخرة نعم صاحبة مشاهد كثيرة ولكنه بمجرد النظر إلى رب العالمين تصبح الاشياء الاخرى فى حكم عدم الوجود وهذا معنى الاختصاص المستفاد من التقديم أو أن الاخرة فيها مواقف كثيرة والنظر إلى رب العالمين وحده سبحانه من بين مواقفها فتفسر كما فسرت الآيات المثبتة للسؤال فى يوم القيامة والآيات النافية له.

أو ان التقدم ليس لنكتة الاختصاص وإنما للاهتمام بالمقدم والتشويق للمؤخرأو التقديم لرعاية فواصل الآيات.

---

(١) الشريف المرتضى هو : ابو القاسم على بن الطاهرأبى احمد الحسين بن موسى بن محمد بن ابراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم أجمعين شيخ الشيعة بالعراق وكان مع تشيعه معتزليا وله كتاب الامالى الذى سماه (غرر الفوائد ودرر القلائد) ولد سنة ٣٥٥ وتوفى سنة ٤٣٦ ببغداد وفيات الاعيان : ٢/١٤-١٧ والتفسير والمفسرن ج١ ص ٤١٠ وقوله هذا فى ج١ ص٢٨ – ٢٩ من الامالى.

وهذا رد على المعتزلة فى أوجه استدلالهم من الآية على نفى الرؤية أما كيف تثبت الآية الرؤية فهذا ما تكفل ببيانه علماء أهل السنة.

قال القرطبى[١] (إلى ربها) إلى خالقا ومالكها (ناظرة) أن تنظر إلىّ ربها على هذا جمهور العلماء وفى الباب حديث صهيب خرجه مسلم[٢] وقد مضى فى يونس عند قوله تعالى :﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾.

وكان ابن عمر [٣] يقول أكرم أهل الجنة على الله من ينظر إلى وجهة غدوة وعشية ثم تلا هذه الآية (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وروى يزيد النحوى[٤] عن عكرمة[٥] قال تنظر إلى ربها نظرا وكان الحسن[٦] يقول نضرت وجوههم ونظروا إلى ربهم[٧].

---

(١) القرطبى هو الإمام ابو عبد الله محمد بن احمد بن ابى بكر بن فرج الانصارى الخزرجى القرطبى المفسر سمع من صاحب المفهم شرح مسلم وتوفى سنة ٦٧١هـ. الديباج المذهب فبن فرحون ص٣١٧ ، ٣١٨ والتفسير والمفسرون ج٢ ص٤٩٣.

(٢) مسلم ١٦٣/١ واحمد ج ١٤ ص٣٢٤.

(٣) ابن عمر : هو سيدنا عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشى العدوى أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم وهاجر قبل ابيه أول مشاهده الخندق كان كثير الحج والصدقة مات وهو ابن ستة وثمانين سنة وتوفى سنة اربع وسبعين. أسد الغابة ج٣ ص٣٣٦ والثقات ٢٠٩/٣.

(٤) يزيد النحوى : هو يزيد بن أبى سعيد النحوى أبو الحسن القرشى مولاهم المروزى روى عن عكرمة ومجاهد وعنه حسين بن واقد وابو عصمة قال النسائى يزيد النحوى ثقة قتله ابو مسلم لأمره اياه بالمعروف سنة أحدى وثلاثين ومائة وكان متقنا من العباد تقيا . تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٢٨٨.

(٥) عكرمة : هو أبو عبد الله عكرمة البربرى المدنى مولى ابن عباس اصله من البربر بالمغرب روى عن مولاه وعلى بن ابى طالب وأبى هريرة وغيرهم. التفسير والمفسرونج ١ ص ١١٦.

(٦) الحسن البصرى هو ابو سعيد الحسن بن أبى الحسن يسار البصرى مولى الأنصار ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر كان فصيحا ورعا تقيا وتوفى سنة ١١٠ وهو ابن ثمان وثمانين سنة. تهذيب التهذيب ٢٦٣/٢.

(٧) هذه الاثار اخرجها الطبرى بسنده فى التفسير ج ٢٩ ص ١١٩ والدر المنشور ج٢٩ ص ٣٥٠ - ٣٥٦.

وقال الإمام النسفى[١] وجوه المؤمنين يومئذ حسنة ناعمة إلى ربها ناظرة بلا كيفية ولا جهة ولا ثبوت مسافة وحمل النظر على الانتظار لأمر ربها او لثوابه لا يصح لأنه يقال نظرت فيه أى تفكرت ونظرته انتظرته ولا يعدى بإلى إلا بمعنى الرؤية مع أنه لا يليق الإنتظار فى دار القرار.

يجمع الإمام الآلوسى بين بيان وجه الاستدلال من الآية على إثبات الرؤية وبين ردوجه الإعتراض فيقول[٢] معنى كونها ناظرة إلى ربها أنها تراه تعالى مستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى على ما يليق بذاته تعالىمستغرقة فى مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى على ما يليق بذاته تعالى ولا حجر على الله عز وجل وله جل وعلا التنزه الذاتى التام فى جميع تجلياته واعترض بأن تقديم المعمول يعنى إلى ربها يفيد الاختصاص كما فى نظائره فى هذه السورة وغيرها وهى لا يتأتى لو حمل على ذلك النظر بالمعنى المذكور ضرورة انهم ينظرون إلى غيره تعالى وحيث كان الاختصاص ثابتا كان الحمل على ذلك باطلا وفيه ان التقديم لا يتمحض للاختصاص كيف والموجب من رعاية الفاصلة والاهتمام قائم ثم لو سلم فهو باق بمعنى أن النظر إلى غيره تعالى فى جنب النظر إليه سبحانه لا يعد نظرا كما قيل فى نحو [ذلك الكتاب] على أن ذلك ليس فى جميع الاحوال بل فى بعضها وفى ذلك الإلتفات إلى ما سواه جل جلاله فقد أخرج مسلم والترمذى عن صهيب عن النبى ﷺ أنه قال إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تعالى تريدون شيئا ازيدكم فيقولون : الم تبيض وجوهنا؟ الم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال فيكشف الله تعالى الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم وفى حديث جابر وقد رواه ابن ماجه ((فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شئ من النعيم ماداموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم)) [٣].

---

(١) النسفى : ج ٤ ص ٣١٥.

(٢) روح المعانى ج ٢٩ ص ٢٤٨ ، ٢٤٩

(٣) روى هذا الحديث مسلم ك الإيمان باب اثبات رؤية المؤمنين ربهم فى الآخرة ج١ ص ١٦٣. ط. دار الحديث – القاهرة والترمذى صفة المؤمنين باب ما جاء فى رؤية الرب ج ٤ ص ٦٨٧ رقم ٢٥٥٢ط. دار الحديث وغبن ماجه ج١ ص ٦٧ط. احياء الكتب العلمية.

ومن هنا قيل:

فينسون النعيـــــــم إذا رأوه

فيا خسران أهل الاعتـــــــــزال

وكثيرا ما يحصل نحو ذلك للعارفين فى هذه النشأة فيستغرقون فى بحار الحب وتستولى على قلوبهم أنوار الكشف فلا يلتفتون إلى شئ من جميع الكون.

فلما استبان الصبح أدرج ضوءه

بإسفاره أنوار ضوء الكواكـــــــب

وقيل الكلام على حذف مضاف أى إلى ملك أو رحمة أو ثواب ربها ناظرة والنظر على معناه المعروف أو على حذف مضاف والنظر بمعنى الإنتظار فقد جاء لغة بهذا المعنى أى إلى إنعام ربها منتظرة وتعقب بأن الحذف خلاف الظاهر وما زعموا من الداعى مردود فى محله وبأن النظر بمعنى الانتظار لا يتعدى بإلىبل بنفسه وبأنه لا يسند إلى الوجه فلا يقال وجه زيد منتظر والمتبادر من الإسناد اسناد النظر إلى الوجوه الحقيقيةوهو يأبى ارادة الذات من الوجه وتفصى الشريف المرتضى فى الدرر عن بعض هذا بأن (إلى) اسم بمعنى النعمة واحد الالاء وهو مفعول به لـ (ناظرة) بمعنى منتظرة فيكون الإنتظار قد تعدى بنفسه وفيه من البعد ما فيه والزمخشرى إذا تحققت كلامه رأيته لم يدع أن النظر بمعنى الانتظار ليتعقب عليه بما تعقب بل أراد أن النظر بالمعنى المتعارف كناية عن التوقع والرجاء عنده انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم كما كانوا فى الدنيا لا يخشون ولا يرجعون إلا إياه سبحانه وتعالى ويرد عليه أنه يرجع إلى ارادة الانتظار لكن كناية والإنتظار لا يساعده المقام إذ لا نعمة فيه وفى مثله قيل : الانتظار موت أحمر والذى يقطع الشغب ويدق فى فروة من أخس الطلب ما أخرجه الامام احمد والترمذى والطبرانى والبيهقى وعبد بن حميد وابن أبى شيبه وغيرهم عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله ﷺ ((ان ادنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جانبه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة وأكرمهم علىالله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشيا ثم قرأ رسول الله ﷺ وجوه يومئذ

ناضرة إلى ربها ناظرة))[١] فهو تفسير منه علية الصلاة والسلام ومن المعلوم أنه أعلم الأولين والاخرين لاسيما بما أنزل عليه من كلام رب العالمين.

**** الآية الثامنة :**

قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[٢]

هذا هو الموضع الثامن الذى تجاذبته أوجه الدلالة بين أهل السنة والمعتزلة فبينما يرى أهل السنة أن هذا وصف حقيقى يلزم إثبات ضده لأضداد المكذبين ليوم الدين وهم المؤمنون يرى المعتزلة أن هذا الوصف تمثيل لإهانتهم كما يهين الملوك من يحجبونهم عن الدخول عليهم.

يوضح وجهة نظر المعتزلة الإمام الزمخشرى فيقول[٣]:((كلا ردع عن الكسب الرائن على قلوبهم وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم وإهانتهم لأنه لا يؤذن على الملوك إلا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم إلا الادنياء المهانون عندهم)).

أما القاضى عبد الجبار فيرى ان هذه الآية لو دلت علىالرؤية فإنها تستلزم أن يكون تعالى فى جهة مخصوصة ويجوز عليه الحجاب والستر وكل ذلك محال عليه تعالى فيقول[٤] وقوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) لا يدل على ما تقوله الحشوية من أنه تعالى يرى يوم القيامة بأن يرفع عنه الحجب للمؤمنين فيروه ويحتجب عن غيرهم فيمنعون من رؤيته لأن هذا القول يوجب أن يكون تعالى جسما محدودا فى مكان مخصوص ويجوز عليه الستر والحجاب ويراه قوم دون قوم من حيث يظهر فى جهة دون جهة.

---

(١) رواه احمد فى مسنده تحت رقم ٥٣١٧ ج ٥ص ١٦،١٧ بتحقيق احمد شاكر وقال فى التعليق عليه اسناده ضعيف جدا لضعف ثوير بن أبى فاختة والترمذى ٣ : ٣٢٤ ، ٤ : ٢٠٩ ك صفة الجنة باب منه والطبرانى ج ٦ ص ١٦٩ ومسند عبد بن حميد ص ٢٦٠ رقم ٨١٩ وابو يعلى ج ١٠ ص ٧٧ ط . دار المأمون للتراث ومصنف إبن أبى شيبة ظ . الجنة ج ١٣ ص ١١١ رقم ١٥٨٤٧ ط. الهند.

(٢) سورة المطففين آية ١٥.

(٣) الكشاف ج ٤ ص ١٩٦.

(٤) متشابه القرآن ج٢ ص ٦٨٣.

والمراد بالآية انهم ممنوعون من رحمة الله لأن الحجب هو المنع ولذلك يقال فيمن يمنع الوصول إلى الامير أنه حاجب له وإن كان الممنوع مشاهدا له وقال أهل الفرائض فى الاخوة أنهم يحجبون الأم عن الثلث إذا منعوها وان لم يكن هناك ستر فى الحقيقة فبين بذلك أنه عالى يمنعهم بذلك من رحمته وسعة فضله ليبعث السامع بذلك على التمسك بطاعة الله فيكون يوم القيامة من أهل الرحمة لا من المحجوبين عنها.

**** مناقشة المعتزلة :-**

أما قول الزمخشرى أنه تمثيل للاستخفاف بهم وإهانتهم فأقول هذا حمل للآية على المجاز من غير موجب والقرآن يحمل على الحقيقة إلا أن يصرف عن الحقيقة صارف ولم يذكر الزمخشرى دليلا صرف اللفظ عن المعنى الحقيقى ولعله اعتمد على ما ذكره قبل فى مثل هذه الآية وقد رددنا عليه فى موضعه.

ويذكر القاضى عبد الجبار الصارف العقلى الذى دفعه على القول بالمجاز وهو استلزم الرؤية على مذهبة للجهة والجسمية وهى علل سبقت وسبق الرد عليها وملخص القول فيها أن هذا قياس فاسد لأنه قاس الغائب على الشاهد فهو قياس مع الفارق.

أما قوله : إن القول بالرؤية يجوز الستر والحجاب على الله تعالى فأقول: إن الستر والحجاب على عيون المحجوبين بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فهم المحجوبون أى داخل الحجاب فالحجاب محيط بأعينهم هم وبدليل قول موسى عليه السلام (أرنى) ولم يقل (تراءى لى) (فأرنى) أى أزل حجاب عينى لأجل رؤيتك فهو عليه السلام محل تصحيح الرؤية والمحجوبون هم موضع الحجاب.

وقد رأى العلماء أن فى الآية دليلا على رؤية الله تعالى فقال النسفى[1] ((إنهم عن رؤية ربهم يومئذ لمحجوبون لممنوعون والحجب المنع)) قال الزجاج[2] فى الآية دليل على أن المؤمنين يرون ربهم وإلا لايكون التخصيص مفيدا وقال الحسين بن

---

(١) تفسير النسفى ج ٤ ص ٣٤٠.

(٢) الزجاج : هو ابراهيم بن السرى بن سهل ابو اسحاق الزجاج كان فاضلا حسن الاعتقاد وله المصنفات الحسنة منها معانى القرآن توفى فى جمادى الأول سنة ٣١١هـ البداية والنهاية ج ١١ ص ١٥٨.

الفضل:[1] كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده حجبهم فى العقبى عن رؤيته وقال مالك بن انس رحمه الله : لما حجب أعداءه فلم يروه تجلى لأوليائه حتى رأوه وقيل عن كرامة ربهم لأنهم فى الدنيا لم يشكروا نعمه فيئسوا فى الآخرة عن كرامته مجازاة والأول اصح لأن الرؤية أقوى الكرامات فالحجب عنها دليل الحجب عن غيرها.

ويفصل الأمام الرازى القول فى تقرير وإثبات الرؤية ويدفع القول بالمجاز فى الآية فيقول[2] أما قوله: ﴿إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ فقد احتج الأصحاب على أن المؤمنين يرونه سبحانه قالوا : ولولا ذلك لم يكن للتخصيص فائدة وفيه تقرير آخر وهو أنه تعالى ذكر هذا الحجاب فى معرض الوعيد والتهديد للكفار وما يكون وعيدا وتهديد للكفار لا يجوز حصوله فى حق المؤمن فوجب الا يحصل هذا الحجاب فى حق المؤمن أجابت المعتزلة عن هذا من وجوه :

أحدهما : قال الجبائى[3] المراد أنهم عن رحمة ربهم محجوبون أى ممنوعون كما يقال فى الفرائض الاخوة يحجبون الآم عن الثلث ومن ذلك يقال لمن يمنع عن الدخول هو حاجب لأنه يمنع من رؤيته.

وثانيها : قال أبو مسلم[4] لمحجوبون اى غير مقربين والحجاب الرد وهو هذا القبول

والمعنى : هؤلاء المنكرون للبعث غير مقبولين عند الله وهو المراد من قوله تعالى : ﴿وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ﴾[5]

---

(١) الحسين بن الفضل بن عمير العلامة المفسر ابو على البجلى الكوفى ثم النيسابورى ولد قبل الثمانين ومائه أقدمه ابن طاهر معه نيسابور وسكنها فى سنة ٢١٧ وتوفى سنة ٢٨٢السيرج ١٣ ص ٤١٣ وشذرات الذهب ١٧٨/٢.

(٢) الرازى ج ٣١ ص ٩٦ ، ٩٧.

(٣) الجبائى شيخ المعتزلة ابو على محمد بن عبد الوهاب البصرى مات بالبصرة سنة ٣٠٣هـ وكان على بدعته متوسعا فى العلم سيال الذهن وله كتاب الاصول والنهى عن المنكر والتفسير الكبير وهو الذى سأله الاشعرى مسألة الثلاثة الاخوة ولم يستطع الجواب عليه. وفيات الاعيان ٢٦٧/٤ ، ٢٩٦ والسير ج ١٤ ص ١٨٣.

(٤) ابو مسلم هو عبيد الله بن مسلم بن عبيد الله الجعفى ابو مسلم الكوفى ذكره ابن حبان فى الثقات وضعه البخارى والأخرى. تهذيب ج ٧ ص ١٥.

(٥) آل عمران : ٧٧ وفيها : ﴿وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ﴾

وثالثها : قال القاضى الحجاب ليس عبارة عن عدم الرؤية قد يقال حجب فلان عن الأمير وإن كان قد رآه من البعد وإذا لم يكن الحجاب عبارة عن عدم الرؤية سقط الاستدلال بل يجب أن يحمل على صيرورته ممنوعا عن وجدان رحمته تعالى.

ورابعها : قال صاحب الكشاف كونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم وإهانتهم لأنه لا يؤذن على الملوك إلا للمكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا المهانون عندهم.

** **والجواب** : لاشك ان من منع رؤية شئ يقال إنه حجب عنه وأيضا من منع الدخول على الأمير يقال أنه حجب عنه وأيضا يقال للأم حجبت عن الثلث بسبب الأخوة وإذا وجدنا هذه الاستعمالات وجب جعل اللفظ حقيقة فى مفهوم مشترك بين هذه المواضع دفعا للاشتراك فى اللفظ وذلك هو المنع ففى الصورة الأولى حصل المنع من الرؤية وفى الثانية حصل المنع من الوصول إلى قربه وفى الثالثة حصل المنع من استحقاق الثلث فيصير تقدير الآية : كلا إنهم عن ربهم يومئذ لممنوعون والمنع إنما يتحقق بالنسبة إلى ما يثبت للعبد بالنسبة إلى الله تعالى وهو إما العلم وإما الرؤية ولا يمكن حمله على العلم لأنه ثابت بالإتفاق للكفار فوجب حملة على الرؤية أما صرفه إلى الرحمة فهوعدول عن الظاهر من غير دليل وكذا ما قاله صاحب الكشاف ترك للظاهر من غير دليل ثم الذى يؤكد ما ذكرناه من الدليل أقوال المفسرين قال (مقاتل) معنى الآية أنهم بعد العرض والحساب لا يرون ربهم والمؤمنون يرون ربهم وقال (الكلبى) يقول أنهم عن النظر إلى رؤية ربهم لمحجوبون والمؤمن لا يحجب عن رؤية ربه وسئل مالك بن انس عن هذه الآية فقال لما حجب اعداءه فلم يروه لابد وأن يتجلى لأوليائه حتى يروه وعن الشافعى : لما حجب قوما بالسخط دل على أن قوما يرونه بالرضا).

وأقول : وإذا ادعى المعتزلة أن جميع الآيات الواردة فى الرؤية تحتمل الإجمال – والفرض الضارب فى البعد والغرابة يدعون – وسلمنا لهم ألا تكفى السنة الصحيحة لإزالة هذا الإجمال وبيانه إنا لا ندعى أن خبر الآحاد ينشأ عقيدة ولكن نقول إنه يقوى على بيان اجمال المتواتر وتفسيره وإلا لم يكن قوله تعالى ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ

الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [١] متوجها لشئ والأحاديث المصرحة بالرؤية فى دواوين السنة كثيرة وصحيحة نقلها الثقات الاثبات ونكتفى بنقل بعض الآثار من صحيح الإمام البخارى وشرحه لابن حجر ذلك الكتاب الذى تلقته الأمة بالقبول لعلو شرطه وشدته فى قبول الحديث[٢] فقد روى بسنده المتصل إلى جرير قال ((كنا جلوسا عند النبى ﷺ إذ نظرنا إلى القمر ليلة البدر قال : إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون فى رؤيته فإن استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا)) وروى بسنده المتصل إلى جرير قال : خرج علينا رسول الله صلى‌الله عليه وسلم ليلة البدر فقال: إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا لا تضامون فى رؤيته))[٣].

فهذه نصوص صحيحة وأصرح من أن تلين لتأويل المعتزلة لا نقول إنها أصل فى إثبات الرؤية ولكن نقول إنها تفسير مِنْ مَنْ نزل عليه القرآن وهو أدرى الناس بمراد رب الناس سبحانه فلنسلم له القياد فذلك اسلم لنا وارضى عند ربنا.

---

(١) سورة النحل آية ٤٤.

(٢) اشترط الامام البخارى المعاصرة وتحقق اللقاء بينما اكتفى مسلم بإمكانه.

(٣) فتح البارى شرح صحيح البخارى ج ١٣ ص ٤٢٩ ، ٤٣٠.

المبحث الثاني

الرؤية فى الدنيا

اتفق العلماء أن الرؤية في الدنيا لله سبحانه وتعالى لم تقع لأحد قبل نبينا محمدﷺ واختلفوا فى وقوعها فى الدنيا لنبينا ﷺ على حالين الأول: حال المنام والثاني حال اليقظة ليلة الإسراء والمعراج.

أما مناما فلم يرد في القرآن الكريم لها ذكر إلا ما ذكره بعض المفسرين عند تفسير قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾[1] من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداه عن صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس فخرج رسول الله ﷺ سريعا فثوب بالصلاة وصلى وتجوز فى صلاته فلما سلم قال كما أنتم إني سأحدثكم بما حبسني عنكم الغداة إنى قمت من الليل فصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استيقظت فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة فقال يا محمد أتدري فيم يختم الملأ الأعلى قلت لا أدرى يارب فوضع كفه بين كتفى حتى وجدت برد أنامله بين صدرى فتجلى لي كل شيء وعرفت فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى قلت فى الكفارات قال وما الكفارات قلت نقل الأقدام إلى الجماعات وجلوس فى المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء عند الكريهات وقال وما الدرجات قلت إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة بالليل والناس نيام... الحديث"[2].

والحقيقة أنه لا توجد علاقة بين الآية والحديث حتى يفسر الحديث الآية اللهم إلا ذكر لفظ "الملأ الأعلى" وهذا ليس بلازم فالحديث يذكر اختصام الملأ الأعلى بمعنى المسارعة إلى فعل الخيرات وتفاضل هذه الأعمال الصالحة فيما بينها أما الآية فتذكر اختلاف الملأ الأعلى عند الأمر بالسجود لآدم فالملائكة تأتمر وإبليس يستكبر فالموضوع والزمان مختلفان فى الآية والحديث وهذا عين ما قال معناه الإمام ابن كثير حيث قال : ليس هذا الاختصام هو الاختصام المذكور في القرآن فالحديث قد فسر فيه

---

(١) سورة ص آية ٦٩.

(٢) الترمذي ٥/٢٦٨ تفسير القرآن عن رسول الله – باب ومن صورة : ص.

الاختصام وأما الاختصام في القرآن فقد فسر بعد هذا وهو قوله تعالى"إذ قال ربك للملائكة...."[1].

وأما التعليق على الرواية نفسها فنقول مع أستاذنا الدكتور/ محمد المسير:

١- الرواية فيها ما يجعلنا نتوقف في قبولها وذلك مثل ألفاظ رؤية الرب في أحسن صورة أو على صورة شاب ووضع الكف وبرد الأنامل[2]

٢- الحديث يبدو انه مقلوب المعنى فهو يثبت أن الله تعالى هو السائل وان الرسول ﷺ هو المجيب والشأن الصحيح أن كون الرسول ﷺ سائلا ربه عما يجري في الملأ الأعلى[3].

هذا وللعلماء تفسيرات لرؤية المولى مناماً – رؤية غير نبينا ﷺ – وتعبيرات و تأويلات الخلاف فيها سهل ميسور لأن الأمر يتعلق بالمنام وأمر النوم أسهل بكثير اليقظة لأنه من باب ضرب الأمثال ليس أكثر ومن أراد الزيادة من هذا الموضوع فليراجع شرح الإمامين النووي وابن حجر في شرحهما للصحيحين عند شرح حديث الرسولﷺ "من رآني في المنام فقد رآني" وقريب من كلام الإمامين قال ابن تيمية في الفتاوى في مجمل ومفصل الاعتقاد باب : هل يرى المؤمن ربه في المنام؟

وأما رؤيته في الدنيا يقظة : فالعلماء لم يختلفوا في أنها لم تقع قبل سيدنا محمد ﷺ ثم اختلفوا هل وقعت له ﷺ في الإسراء والمعراج أم لا؟

وهذا الاختلاف وقع في الصدر الأول للإسلام فقد اشتهر عن أم المؤمنين عائشة النفي واثر عن ابن عباس الإثبات ولكليهما تلاميذ يحكون أقوالهم ويقولون برأيهم من التابعين فمن بعدهم.

---

(١) ابن كثير ج ٤ ص٤٤.

(٢) راجع الروايات في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للإمام الهيثمي ج١ ص ٢٣٧ ، ج٧ ص ١٧٦ ط.دار الكتاب العربي.

(٣) راجع اضطرابات هذه الروايات تحفة الأحوزي شرح جامع الترمذي تحقيق د / عبدد الوهاب عبد اللطيف ج ٩ ص ١٠٢ ، وانظر : الإلهيات في العقيدة الإسلامية أ.د / محمد المسير ص ١٨٨.

وهذا الخلاف يحكيه المفسرون عند تفسير قوله تعالى : ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾[١]

وهذه الآيات تكميل للصورة التي يذكرها لنا المولى تكريما لرسوله في المعراج من أول سورة النجم ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾

والسؤال : من الذي دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى؟

قال الطبرى : يقول تعالى ذكره ثم دنا جبريل من محمد فتدلى وهذا من المؤخر الذي معناه التقديم وإنما هو (ثم تدلى فدنا) ولكنه حسن تقديم قوله دنا إذا كان الدنو يدل على التدلي والتدلي على الدنو كماتقول : زارنى فأحسن وأحسن فزارنى ، وشتمنى فأساء واساء فشتمني لأن الإساءة هي الشتم والشتم هو الإساءة ثم روى الطبري بإسناد صحيح عن الحسن أنه قال ثم دنا فتدلى هو جبريل عليه السلام.

وبنحو الذي قاله الطبري روى البخاري ومسلم عن عبد الله فكان قاب قوسين أو ادنى أنه رأى جبريل له ستمائة جناح[٢].

قال الطبري وقال آخرون بل الذي كان قاب قوسين أو أدنى محمد ﷺ من ربه ثم روى من قال بذلك فروى عن ابن عباس[٣] قال ابن عباس : دنا ربه فتدلى[٤]

وقد صح عن ابن عباس إثبات الرؤية لرسول الله ﷺ فقد روى مسلم في صحيحة بسنده إلى ابن عباس قال "ما كذب الفؤاد ما رأى" "ولقد رآه نزلة اخرى" قال: رآه بفؤاده مرتين[٥].

وروى مسلم عن ابن مسعود أن الذي رآه بفؤاده مرتين على الحقيقة هو جبريل عليه السلام له ستمائة جناح [٦].

---

(١) سورة النجم آية ٨ : ١١.

(٢) البخاري ١١٨/٣ ، ومسلم ١٥٨/١.

(٣) فيه يحى بن سعيد صدوق يغرب ومحمد بن عمرو صدوق له أوهام.

(٤) الطبري ج ٢٧ ص ٤٤.

(٥) صحيح مسلم ج ١ ص١٥٨.

(٦) مسلم ١٥٨/١ ، والمستدرك ٥٠٩/٢.

تأمل في الآيات:

وبعد إدامة النظر في آيات سورة النجم أحب أن أبين أنها لا تصلح أن تكون دليلاً لأحد القولين ضد الآخر وذلك لما يأتى:-

أولاً : أن سياق الآيات لبيان أدلة صدق الرسول ﷺ في تبليغ رسالة ربه وانه لا ينطق عن الهوى ، وليس للحكم بوقوع الرؤية أو نفيها وسبب ورود الآيات له دخل كبير في بيان المعنى

ثانياً : احتمال ألفاظ الآيات للرأيين وما في تفسير الآيات إنما هي اجتهادات للصحابة رضي الله عنهم غاية ما وجد مرفوعاً إلى الرسول ﷺ هو سؤال السيدة عائشة رسول الله ﷺ عن قوله" ولقد رآه نزلة أخرى" فقال إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين[١].

ولذلك قال ابن حجر وقد رجح القرطبي في المفهم قول الوقف في هذه المسألة وقواه بأنه ليس في الباب دليل قاطع وغاية ما استدل به للطائفتين ظواهر متعارضة قابلة للتأويل قال وليست المسألة من العمليات فيكتفى فيها بالأدلة الظنية وإنما هي من المعتقدات فلا يكتفي فيها إلا بالدليل القطعي ، واما عن الرأيين فقد رجح بعض العلماء رأي ابن عباس واختار بعضهم الجمع بينهما فقال : إن عائشة رضي الله عنها نفت رؤيا العين الجارحة وابن عباس رؤيا القلب فيكون المنفي غير المثبت.[٢]

---

(١) مسلم ١٥٩/١ ، وابن حبان ٣٦٣/٤.

(٢) فتح الباري ٦٠٨/٨ والنص في المفهم فيما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي ج١ ص ٤٠١ وما بعده اط. دار ابن كثير ودار الكلم الطيب.

أهم النتائج

١- أن الله سبحانه وتعالي لم يترك باباً من أبواب التعريف به إلا وفتحه لعباده ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة ، أما رؤيته تعالي فليست سبيلاً إلي معرفته لان المعرفة المطلوبة هي معرفة الاختيار لا معرفة الاضطرار ومن يري الجليل سبحانه سيكون مضطراً للإيمان به سبحانه لا يستطيع غير ذلك .

٢- الاختلاف في الرأي لا يعني الاختلاف في الدين ولو كان الأمر المختلف فيه في فروع العقائد فلا يجوز التنابز بالألقاب ولا التراشق بالاتهام في النيات والجائز بل الواجب علي المختصين هو البحث من أجل الوصول إلى الأقرب إلى الصواب .

٣- عند بحث المسائل العلمية لا يجوز اصطحاب حكما مسبقاً وتكون النصوص مطوعة للحمل علي الحكم بل الواجب أن ندخل علي النصوص الشرعية خالين الذهن من كل حكم سابق اللهم إلا قواعد البحث والأحكام المؤهلة للاجتهاد ثم ما يمليه علينا النص فهو الذي ندين به لمولانا جلاله .

٤- الله سبحانه وتعالي هو رب العالمين لا يحيط به أحد لأنه الخالق وما سواه هو المخلوق وإذا قلنا إنه سبحانه يراه المؤمنون بفضله وكرمه في الجنه فلا بد أن نأخذ هذا الحكم مع اليقين بأنه تعالي " ليس كمثله شئ " وأنه تعالي " وسع كرسيه السماوات والأرض " وأنه الواحد الصمد الذي لم يلد ولم يكن له كفوا أحد .

٥- رؤية الله سبحانه وتعالي من أعظم نعم الآخرة وليست طريقاً إلى معرفة الله سبحانه وتعالي ولذلك عظمت قيمة الإيمان بالغيب وعليه فلا تكفير ولا تفسيق للمخالف

بقلم الدكتور

محمد صلاح أحمد شداد

مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين

بالقاهرة جامعة الأزهر

فهرس الأحاديث والآثار

الحديث أو الأثر	القائل	رقم الصفحة
أكرم أهل الجنة على الله	ابن عمر	٣٨
إن أدنى أهلى الجنة	الرسول ﷺ	٣٦
انسب لنا ربك		٣
إن رسول الله تلا	صهيب	٢٤
إنكم سترون ربكم	الرسول	١٦
أى الخلق أعجب	الرسول	٤٢
تنظر إلى ربها	عكرمة	٢٦
تلا رسول الله	ابن عباس	٥٩
الزياد الغرفة	على بن أبى طالب	٤٤
الزيادة المغفرة	ابن عباس	٤٥
الزيادة أن تمر سبحانه	يزيد بن شجرة	٤٣
فهو أعظم من	فتادة	٤٢
لا يحيط بصر أحد	ابن عباس	٤٨
نفر مع وجوههم	الحسن	٤٠
هم ينظرون إلى الله	عطية العوفى	٤٦
إذا دخل أهل الجنة	الرسول ﷺ	٦٥
احتبس رسول الله ﷺ	معاذ بن جبل	

الفرق المترجم لها

الفرقة	رقم الصفحة
الجبرية	٧
الحشوية	٨
الزيدية	٨
المرجئة	٤٤
المشبة	

فهرس الأعلام

العلم	رقم الصفحة
ابن عمر	٥٩
أبو مسعود	٥٧
ابو مسلم	٦٤
البيضاوى	١٧
الشريف المرتضى	٥٨
ابن كثير	١٦
الحسن البصرى	٥٩
الحسين بن الفضل	٦٤
الزجاج	٦٣
الشهاب الخفاجى	١٧
عبد الجبار القاضى المعتزلى	٧
عطيه العوفى	٢٣
عكرمة	٥٩
القرطبى	١٢
النسفى	٥٩
يزيد بن شجرة	٥٩
يزيد النحوى	٢٣
قتادة	٤٤
مجاهد	

أهم المراجع

القرآن الكريم عز وجل من أنزله

١- الاقتصاد فى الاعتقاد للإمام الغزالى ط. دار الكتب العلمية.

٢- الانتصاف على ذيل الكشاف ط. دار المعرفة بيروت.

٣- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ط. دار الكتب بيروت.

٤- تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضى عبد الجبار بن أحمد ط . دار النهضة الحديثة.

٥- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبى ط. دار الغد العربى.

٦- حاشية زاده على البيضاوى ط . دار بيروت.

٧- حاشية الشهاب على البيضاوى ط . دار بيروت.

٨- روح المعانى للآلوسى ط. دار الفكر.

٩- شرح الأصول الخمسة للقاضى عبد الجبار ط. مكتبة وهبة.

١٠- شرح النووى على مسلم ط. بيروت.

١١- فتح البارى للإمام ابن حجر ط. الريان.

١٢- فتح القدير للشوكانى ت سيد إبراهيم ط. دار الحديث.

١٣- الكشاف للزمخشرى ط. دار المعرفة بيروت.

١٤- لسان العرب لابن منظور ط. دار المعارف.

١٥- متشابه القرآن للقاضى عبد الجبار ط . دار التراث.

١٦- المستدرك للنيسابورى ط. دار المعرفة.

١٧- مفاتيح الغيب للفخر الرازى ط . دار الغد العربى.

الفهرس العام

	رقم الصفحة
تمهيد	٣
موقع الرؤية	٥
الرؤية فى الآخرة	٧
الآية الأولى	٩
الآية الثانية	١٤
الآية الثالثة	١٩
الآية الرابعة	٢٩
الآية الخامسة	٤٣
الآية السادسة	٤٨
الآية السابعة	٥١
الآية الثامنة	٦٢
الرؤية فى الدنيا	٦٧
أهم النتائج	٧١